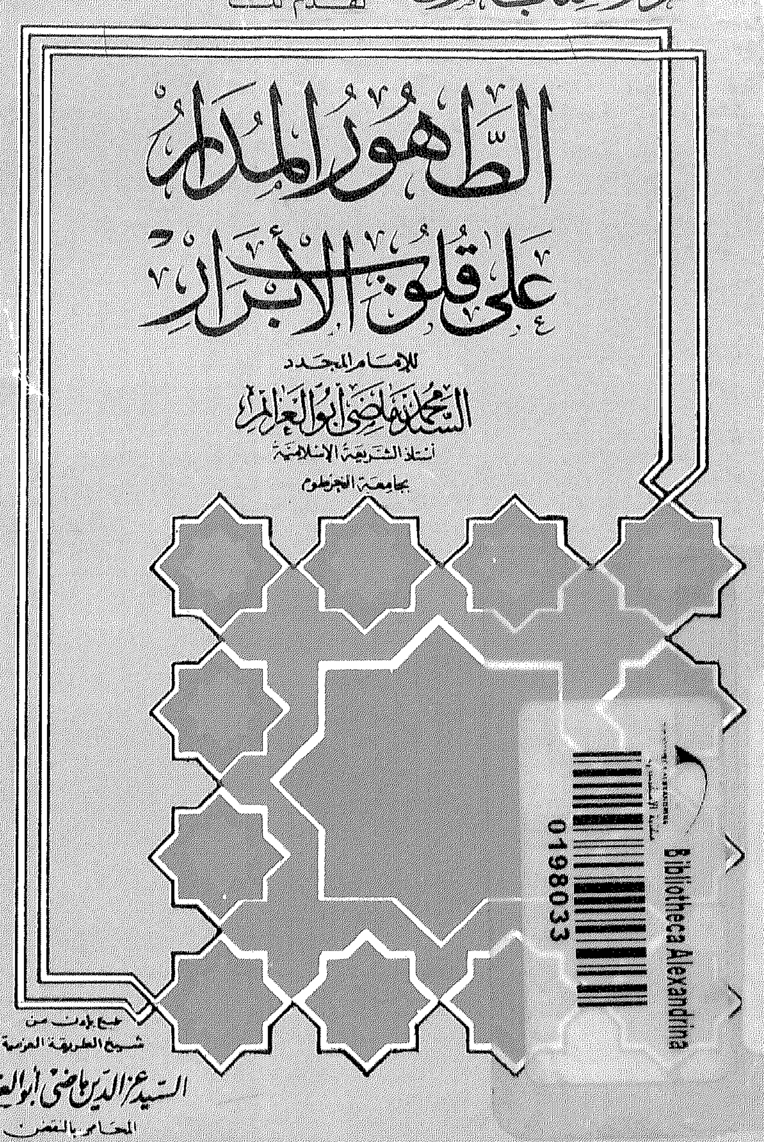
دار الكتاب الصوفي تقدم لك

الطهور المدار على قلوب الأبرار

للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية
بجامعة الخرطوم



طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض



دار الكتاب الصوفي
تقدم لك



الطهور المدار على قلوب الأبرار

للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية
بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض



طبعات الكتاب

الطبعة الأولى ١٣٤٠ هـ - ١٩٣٠ م

الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م



الحمد لله الذى خلق أولياءه ، وكشف لهم حياض جماله ، وفتح عليهم باب ذكره . والصلاة والسلام على أكمل موجوداته ، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الهادين المهديين . ورضى الله تبارك وتعالى عن إمامنا ومرشدنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم الذى ورثنا تراث علومه وأفاض علينا من هاطل فيضه . ونضر الله وجه خليفته الأول مولانا الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم موضع الفضل والكمال والاستقامة والاعتدال .

وبعد : فتقدم دار الكتاب الصوفى وهى احدى أوجه نشاط الطريقة العزمية الطبعة الثالثة من كتاب (الطهور المدار على قلوب الأبرار) الذى صدرت طبعته الأولى فى ربيع الثانى سنة ١٣٤٠ هـ وطبعته الثانية ١٣٩٧ هـ ـ

١٩٧٧ م وهو مجموعة من الحكم العالية والدرر الغالية . أفيضت على قلب الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم فنطق بها لسانه فجاءت ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد والكتاب يتضمن الباب الأول منه على سر إظهار الله للمجددين لدينه فى كل زمان ، وأساس الطريق عامة ، طريق آل العزائم خاصة ، والمجاهدات وما يناله السالك بانتسابه للطريق . والباب الثانى يحتوى على المكنون المضنون فى الذات الإلهية ، ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وآدم والقرآن ورجاله ، والعلم وأحواله ومنازله .

ولقد تلقى هذه الدرر المنثورة التى يحتويها هذا الكتاب مولانا السيد أحمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه ، على شكل أسئلة فأجاب عليها الإمام رضوان الله عليه سؤالا سؤالا . وأنه ليس لى من فضل فى إصدار الطبعة الثالثة من هذا الكتاب حتى أفخر به ولا جهد أنتظر الأجر عليه إنما هى عناية من الله سبقت ، وهدايته رفقت ،فشكراً لله على ما وفق وأعان .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ..

دار الكتاب الصوفى
فى يوم الاثنين
غرة رجب ١٤١٢ هـ
٦ يناير ١٩٩٢ م

شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضى أبو العزائم
المحامى بالنقض

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ، نزل الذكر وهو له حافظ ، ولقن حبيبه تبيانه وقال سبحانه : (ثم إن علينا بيانه)[1] والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه مصدر حكمه الظاهر ونور هداه ، وعلى آله وصحبه . أما بعد فإن أول حكمة اقتبسناها ، وأحلى قطرة فضل شربناها ، وأنفس عظة وعيناها ، وأحسن أدب تهذبنا به ، وقول فى الدين أصغينا إليه ، هو ما سمعناه من الإمام المجدد السيد محمد أبى العزائم وما قرأناه من حكمه البالغة ، ودرره التى تأخذ بالقلوب فتجذبها إلى القرب من علام الغيوب . فإن العبد الكامل العارف بالله يسبق نوره قوله فيضىء القلب المخلص فيحدث فيه الأثر المحمود ، ويقبل به على الحق المعبود ، سنة الله فيمن اختارهم لحضرته واكرمهم بعنايته ونسبهم لذاته . (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم

(١) سورة القيامة : ١٩ .

تحزنون)[٢] وآتاهم حكمته وأكمل عليهم نعمته .
(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا)[٣] . وتلك حال والدى الإمام المجدد رضى الله عنه وأرضاه ، تمسك بالدين وتفان فى نشر محبة جميع الناس لسيد الرسل أجمعين ، وميل للحق وعلاه ، وبذل فى إحياء القرآن وسنة رسول الله . نور ظاهر ، وقلب مع الله حاضر ، ونطق بالحكم العلية ، وإقبال على الله بالكلية ، مما لو أراد النقلة الرواة والرجال الثقاة أن يحصوه ما قدروا على أن يبلغوه . وكيف .. وهو يقتبس من الشمس المشرقة رسول الله المستمد من الله ، ومحال أن تنفد كلمات الله . (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)[٤] .

وما ستطلع عليه أيها القارىء فى هذا المسطور قل من

(٢) سورة الزخرف آية : ٦٨ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

(٤) سورة لقمان آية : ٢٧ .

كثر ، وقطرة من بحر ، ووميض من نور ، وقلائد من در منثور ، تلقيته قاصدا بنشره الاعتراف بفضل الإمام المجدد رضى الله عنه وأرضاه ، والحث على النفع العام ، وأن يكون لى أثر أنال به ذكرا يبقى على الدوام .

ولما عزمت على إظهار هذا المؤلف إلتمست الأذن بالطبع من الإمام المجدد فاذن رضى الله عنه ، وجعلت الباب الأول منه كأسئلة فأملى علىَّ رضى الله عنه الجواب على كل أسئلته .

أما الباب الثانى فهو حل للرموز ، وكشف عن كنوز ، يحتاج لنفس زكية وروح عليه ، وعقل عقل عن الله .

ولك أنصح أيها المطلع على هذا الكتاب ، أن تقرأه وقت فراغ قلبك من هموم عملك ، وأنس نفسك بمواجهة ربك فما وعاه قلبك من دقائقه ، وتلذذت به من حقائقه فاحمد الله عليه . وما صعب عليك فهمه وعز على عقلك الوصول إليه فانسب سببه لنفسك ، وقل ربى زدنى علما .

والله اسأل أن يبلغنى واخوانى المؤمنين المقصود ، ويدلنى وإياهم على الصراط المحمود (صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

أحمد ماضى أبو العزائم

الباب الأول
المجددون والطريق إلى الله

الفصل الأول
المجددون ومآخذهم

ما سر إظهار المجددين فى كل زمان ؟:

معلوم أن أول الإرادة آخر العمل ، وأول مراد الله تعالى هو حبيبه ومصطفاه ﷺ ، وسبق فى عمله أنه حبيبه ومصطفاه وأنه الإنسان الكلى الممد لجميع العوالم ، وخلق جميع الخلائق له ﷺ كما ورد فى الحديث بسند الإمام محمد بن سهل رضى الله عنه فى تفسيره للقرآن ، يقول الله تعالى : « إنى خلقت محمدا لذاتى وخلقت آدم لمحمد ، وخلقت كل شيء لبنى آدم .. » إلى آخر الحديث .

أبرز الله الكون متطورا أطواراً ليعده لإشراق شمس حبيبه ومصطفاه ، فكان ﷺ فاتحا خاتما كما قال علىّ عليه السلام :

« اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق وآله » .

أشرقت شمسه ﷺ بالنور العام الدائم الذى لايغيب ؛ لأن شمسه ﷺ لا تأفل كما قال عبد القادر الجيلانى رحمه الله :

أفلت شموس الأولين وشمسُنَا
أبدا على فلك العلا لا تغرب

فجعله الله تعالى فاتحة الإيجاد ، وخاتمة للرسل فلا نبى بعده ، فاقتضت حكمته ورحمته وإحسانه ، أن يحفظه لأمته فى أمته ، فلا يزالُ ﷺ فى أمته بدليل قوله تعالى : « واعلموا أن فيكم رسولَ الله »(١) . وبدليل قوله تعالى : « ولور ردوه إلى الرسولِ وإلى أولى الأمرِ منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »(٢) . وقال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : (اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهرا مشهورا وإما باطنا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته » .

---

(١) سورة الحجرات آية ٧ .

(٢) سورة النساء آية ٨٣ .

فلا يخلو زمان من الأزمنة ، بل ولا يمضى قرن ويتجدد آخر ، إلا ويجدد الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها ، وهم ورثة رسول الله ﷺ ، ولولا ذلك لخفيت معالم دين الله ، واندثرت آثار أئمة الهدى . وإنما الورثة أشبه بالمرائى ، فإن المرآة الأولى التى واجهت الحقيقة المحمدية ، ورسمت فيها صورته ﷺ ، لافرق بينها وبين آخر مرآة رسمت فيها تلك الصورة ، ولكن التفاوت بين الظرف والظرف لا المظروف ، وبين الإناء والإناء ، لا ما فيهما . والصورة لم تتغير فهى هى ، وتكون المرآة بحسب زمانها ، فخير مرآةٍ تكون فى خير زمان وكلها خير ، ومن أنكر هذا فقد أنكر قوله : « وخاتم النبيين »(١) .

وقد حصل لأصحاب رسول الله ﷺ يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى دهشة حيرت العقول ، لاعتقادهم أن خاتم الرسل لا يموت، حتى منَّ الله على الأمة بنور العلم اليقين من الصديق رضى الله عنه فتلا آية : « ماكان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم ولكن رسولَ الله وخاتَمَ النبيينَ وكان اللَّهُ بكل شيءٍ عليما »(٢) .

(١) ، (٢) سورة الأحزاب آيه ٤٠ .

هذا هو سر تجدد الورثة فى كل قرن أو قرون ؛ وما ورد من الآيات والأحاديث فى هذا الشأن فمعلوم ، ومايعترى بعض المنكرين لهذا السر ، فهو من طريق قوله تعالى : « ... بل هم فى لبسٍ من خلقٍ جديدٍ »(١) والمجدد المرآةُ لا النور والإناء لا ما فيه ، فإن الإنسان ـ من حيث هو إنسان ـ مؤهل أن ينال من الله الخير والفضل العظيم الذى ناله الأطهار من أوليائه ، والأخيار من الصديقين . وما من زمان إلا وتتجدد فيه أحداث لم تكن على عهد السلف ، وتظهر فيه شؤون تقتضيها سعة العمران .

ولما كانت تلك الأحداث والشؤون لابد وأن ينظر إليها بعين الشريعة ليثبت حكمها من حيث الحل والحرام والندب والكراهة والوجوب والمنع ، كان لابد لكل زمان من أفراد يصطفيهم الله لنفسه فيفقههم فى دينه ، ويلهمهم الصواب فى القول والعمل ، ويقيمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم فتنطوى النبوة فى صدورهم ، إلا أنه لا يوحى إليهم .

ولذلك نظائر فى الأمور المحسوسة : فإنا لو عرضنا أمراض هذا العصر على ابن سينا وابن بختيشوع وغيرهما من كبار

(١) سورة قٓ آية ١٥ .

الأطباء لجهل هذا المرض ولما علم له دواء ، فكما أن الله سبحانه يحدث فى كل زمان أطباء للأشباح لطفا بالخلق ، ورحمة بهم ، فهو سبحانه أرحم الرحمين بعباده فيجردُ لهم رجالا يستنبطون الحكم على كل حدثٍ حدثَ ، أو شأنٍ تجدد ، وهم ورثة رسول الله ﷺ سر قوله ﷺ : « العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ »(١) ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وإنما ورثوا نورا وهدى ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ماهى مآخذ المجددين للسنة :

عقيدة كل مسلم أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء ، وهذا الأصل يقتضى أن يكون كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ جامعين لبيان الأحكام المتعلقة بالشؤون التى تحدث فى كل زمان ومكان ، بحسب ما يعترى المجتمع الإسلامى من الأحوال التى تحدث ، من غير أن يسبق لها نظير .

ومعلوم أن تلك الحوادث ـ بحسب أهميتها ـ تشغل قلوب المجتمع ، فقد تقوى تأثيراتها حتى يألفها المجتمع ويتلقاها الأبناء

---

(١) رواه ابن النجار عن أنس ، ص ٧ إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد .

عن الآباء معتقدينها دينا ، ومثال ذلك ماحدث فى الدولة العباسية من البدع كالقول بخلق القرآن ، وتغيير المنهج الذى كان عليه من قبلهم فى تلقى عقائد التوحيد ، حتى حصروها فى مواضيع ، وجعلوا طريق تحصيلها العقل ، وجعلوا لذلك أسسا حكموا أن من لم يحصلها غير مؤمن ، وهى من شر البدع . وما حصل بعد ذلك من البدع المضلة من تفرقة المجتمع وتعدد الخليفة ، ثم عظم الأمر ، حتى صار الحكم بالهوى وهجر القرآن والسنة ، وتساهل المسلمون حتى غيروا أحكام الشريعة الغراء بقوانين ونظمات ، فأصبحت السنة بدعة منكرة ، والبدع المضلة سننا مقبولة ، فانحلت عُقدة التعصب للدين ، وتمزقت دعائمه ، وأصبح المسلمون كما يعلم من شهد الماضى والحاضر ، شهد الماضى بدراسة أخباره ، وشهد الحاضر بالمعاينة . كل تلك الحوادث والشؤون ، لا يخلو منها مجتمع فى كل زمان .

ومقتضى أن رسول الله خاتم الرسل يثبت أنه ﷺ لم يمت بصفته رسول الله ، بَل ينبغى أن يعتقد حق الاعتقاد أن النبوة والرسالة باقيتان مابقى الحدثان[1] ، قال سُبحانه وتعالى : « إنَّا

---

(١) الحدثان : الليل والنهار

نحنُ نزلنا الذكرَ وإنَّا له لَحافِظُونَ »[1] .

كذلك تفضل الله تعالى على عباده الذين بشرنا بأنهم خير أمة أخرجت للناس أن يجدد لهم أمر دينهم كلما خفيت محاجه أو سترت حججه ، ولا يكون ذلك إلا بواحد من المسلمين يتفضل الله عليه بفقه دينه وعلم الحكمة فى أحكامه ، وسر أحكامه ، ويمنحه لسان البيان ، ويلقى عليه محبة منه سبحانه . وفضل الله تعالى لايخفى على ذى بصيرة ، وإن كانت شمس رسول الله ﷺ خفيت على الخفافيش من الناس ، فالقائم هذا لايضره إنكار أهل الجهالة عليه ، ولا يضيره منهم عدم الإقبال ، فإن أعداء الحق فى كل زمان ومكان أكثر من أحبابه .

ومآخذ المجددين للسنة فى كل زمان من كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وهدى أئمة الهدى من السلف الصالح ، وإنما اللبس حصل لأهل الجهالة لأن أحكام الزمان الذى هم فيه مغايرة لأحكام ما قبله ، والأئمة المجددون ليس لهم رأى ولا هوى ولا حظ إلا فيما يرضى الله تعالى ويرضى رسوله ﷺ بقدر النور الموهوب لهم من الله تعالى .

---

(1) سورة الحجر آية ٩ .

وهنا أنبهك أيها الأخ الراغب فى نيل الحسنيين ، أن تكون محافظا على الموازين فيما سبق الحكم فيه مما هو فى الكتاب والسنة ، فإذا تكلم المجددون فيما حدث بعد ذلك مما لم يسبق له نظير من الحوادث فعليك أن تقبل ، معتقدا أن عبارة المجددين فوق شهودك ، لأنهم يقتبسون من مشكاة رسول الله ﷺ أو مما وقر فى قلوبهم من نور الإلهام ، أو من الأخذ بالعزائم بعد طمأنينة القلب ، وصفاء جوهر النفس ، وكمال الإخلاص لله ، وليس بإمام من خالف صريح الكتاب والسنة ، أو خالف عمل أهل الإجماع من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما مايتعلق بالعقيدة والإخلاص فلكل مؤمن قِسط من هذا النور بقدر عناية الله تعالى به ، والله أسأل أن يجدد بنا السنة ، ويعلى بنا الكلمة ، ويجعلنا أئمة للمتقين إنه مجيب الدعاء .

الفصل الثانى

أساس طريق آل العزائم ومجاهداتهم

ما هو أساس طريق آل العزائم ؟:

أساسهم الأول : المحبة ولاينال الإنسان المحبة إلا بعد العلم بثلاثة أصول :

١ ـ العلم بصفات المحبوب . ٢ ـ العلم بأخلاقه .
٣ ـ العلم بما يحبه .

فأما العلم بصفات المحبوب فلا بد أن ينال من عارف ربانى ، أمين على سر الربوبية ، عالم بجواهر النفوس وأمراضها وقواها القابلة .

وأما العلم بأخلاق المحبوب ، فينال بتحصيل سير الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم ، ومعرفة حكمة إيجاد العالم علوا وسفلا ، وجعله إمدادا للإنسان بعد إيجاده ، وسر صوغ الإنسان بيديه ، وجعل نشأته الأولى من طين ، وحكمة نفخ الروح فيه ، ومعنى سجود الملائكة له ، وإباء إبليس ورجوعه إلى الجنة ومعصيته فيها ، ورده منها . حتى إذا تحقق من كل

تلك المعانى أمكنه أن يصير مع الله تعالى بالمحبة ، فإن من جهل أخلاق محبوبه انقلبت المحبة بالبغضاء . وهذا العلم لايحصل عليه المسلم إلا بصحبة الربانيين أهل الخشية من الله تعالى والأدب معه ، قال ﷺ : « العلم بالتعلم » .

وأما العلم بما يحب المحبوب فتحصيله يكون بتلقى معرفة النفس ، وبمعرفتها يعرف المسلم ربه ، ويعرف مراده جل جلاله فى إيجاد الإنسان ، وهو أن يكون عبدا لمولاه سبحانه ، متجملا له سبحانه بالجمال الذى يحبه هو من عبيده ، ولديها يكون ابن وقته ، فإذا اقتضى الوقت محبوبا له ومحبوبا لله ، قهر نفسه على أن تفعل ما يحبه الله مهما ناله من الضرر والبلاء فى سبيل ذلك . وليس من تقرب إلى الله بأكمل القربات بمحب لله ، فإن الطاعة يعملها البار والعاصى ، وإنما دليل محبة الله البعد عما نهى الله عنه ، وهذا أمرٌ دقيق جدا ، فكم من عابد يوالى عدو الله تعالى أو يفعل مايكرهه الله مما نهاه الله عنه ويحتقر هذا العمل .

هذا الأساس ـ المحبة ـ هو الأصل الذى أُسس عليه الدين ، ولولاه ما صبر رسول فى الدعوة إلى الله ، ولا بذل الأنصار والمجاهدون نفوسهم وأموالهم وأوطانهم فى سبيل محبة ،

ولا صبر عبد على صلاة ولاصيام ولا حج ، ولا بر ولا صدقة ولا جهاد ، ومن لم يذق صافى شراب المحبة وملأ بطاح الأرض وصفاح السماء بالعبادة فإنما هو أجير سوء ، وما أثنى الله سبحانه فى كتابه على أصحاب رسول الله ﷺ إلا بالأعمال التى أنتجتها المحبة ، فلم يقل : يصلون ولا يصومون ولايحجون فى مقام الثناء ، ولكنه قال : « ويؤثرون على أنفُسِهم ولو كان بهم خصاصة »(١) وقال : « يحبون مَنْ هاجَرَ إليهم »(٢) وقال : « من المؤمنين رجالٌ صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظِرُ ومابَدَّلوا تبديلاً »(٣) . وقد وردت أحاديث كثيرة فى الثناء على رجال من الصحابة بما قاموا به من الأحوال الدالة على كمال المحبة قال ﷺ : « أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر » وقال للأنصار ﷺ : « إنكم لتكثرون عند الفزع » والآيات القرآنية والأحاديث الواردة فى الثناء والشكر من الله تعالى لا تحصى .

فكل رجل من رجال آل العزائم ينبغى أولا أن يحصل المحبة ، ومتى عقد القلب على قدر حبة من المحبة جذبته العناية

---

(١) ، (٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

إلى الله تعالى فأحبه سبحانه ، والمحب كيف يخالف محبوبه ؟!!
فمن فعل مكروها أو ترك مندوبا من أحكام الشريعة ، وادعى أنه سالك فى طريق آل العزائم ، فدعواه تحتاج إلى حجة ، وكثير من الإخوان يدّعون المحبة وتلوح عليهم أشرف علاماتها حتى يكونوا كالرَّاحِ والرَّيحانِ لغيرهم ، ثم تعتريهم فترة ، فلا يزورون المرشد ، ويزيدون على ذلك الاعتذار ، والعاشق لا يعتذر .

ماهى مجاهدات آل العزائم[٣] :

الجهاد بذل ما فى الوسع لدفع العدو ، أو قهره حتى يخضع ، وهو الأساس الذى تقوم به الحجة على قوة الإيمان ، والركن الذى تتضح به المحجة للسير إلى الفوز بالرضوان ، وبدونه كل أعمال المؤمن دعوى تحتاج إلى دليل .

والمجاهد إما أن يجاهد المملكة الفردية وهى مجاهدة السالك نفسه فى ذات الله تعالى ، وهذا هو الجهاد الأكبر الذى لايصبر عليه إلا آل العزائم من كمل الصديقين .

---

(٣) راجع كتاب : (الجهاد) للإمام المجدد أبى العزائم .

مجاهدة النفس(١)

تعلم ـ أيدنى الله وإياك بروح منه ـ أن السالك بين جيشين عظيمين : جيش الحق ، وجيش الباطل ، والجيشان فى ميدان المنافسة للظفر بالملك ، وجيش الباطل فى الإنسان أقوى وأكثر من جيش الحق ، فإن ما يجاهد عليه جيش الباطل ليناله محسوس ملائم للنفس ، وما يجاهد عليه جيش الحق غيب ينال غدا . وما كان محسوسا كان أقوى فى الإغراء والرغبة فيه .

لذلك يجب على السالك فى طريق آل العزائم ألا يتهاون فى أمر جهاد هذا العدو صابرا مصابرا مرابطا ، وأن تكون يقظته أتم عند قهر هذا العدو (أو عند الهدنة) ، فإن للشيطان والحظ والهوى دسائس خفية قد تظهر فى فضائل ومحاسن ، فقد تلتبس عليه ـ بحسب دسائس العدو ـ العادة بالعبادة ، والطمع بالمحبة ، والرياسة بظن تجديد السنة ، فيكون هاويا فى مهاوى الضلال ، معتقدا أنه من عمال الله .

لذلك لزم أن يهتم فى حال المجاهدة بتخليص النوايا

---

(١) راجع كتاب : (معارج المقربين)ص ١١٥ وكتاب : (النور المبين) باب الجهاد ص ٤١١ للإمام المجدد أبى العزائم رضى الله عنه

والقصود ، فقد تكون المجاهدة بابا من أبواب الشيطان لجهل السالك بدسائس النفوس ، كما يحصل لمن يحب الخلوة من الغرور ، ووسوسة العدو ، ومايتولد فى قلبه من حب الشهرة والسُّؤدد بذلك ، أو نيل الكشف والمشاهدة وعلم الضمائر ، واستخدام الأرواح لجلب الخير ودفع الضرر ، أو الزهو بالنفس وكرامتها ، من التدنس بالاجتماع على العامة ، وتلك أمراض خفية .

أما العلل الباعثة التى يقصدها أهل الغرور ؛ فصاحبها ليس بسالك فى طريقنا هذا .

أنواع المجاهدة : أنواع المجاهدة ثلاثة :

١ ـ مجاهدة الحس والنفس والعقل والجسم فى التسليم لرسول الله ﷺ تسليما يكون السالك به أشبه الناس برسول الله ﷺ فى جميع شؤونه .

٢ ـ مجاهدة السالك نفسه على نيل الكمالات التى لا تلائمها من مراقبة الله فى كل أحوالها ، حتى يستحى أن يعصى الله فى خلوة ، ومن الرضا عن الله بالقليل من الضروريات . وهذا النوع يجب أن يكون المجاهد فيه محافظا على أدب الأئمة

الهادين المرشدين ، فلا يستظهر عليهم حفظا للوسط . وكفى المجاهد شرفا أن يكون منهم ، أو معهم ، لأن هذا النوع مزالق أقدام السالكين ، فقد يتجاوز آدابهم فلا يستطيع ، فينقلب والعياذ بالله ، يقول الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً »(١) . وهذان النوعان هما الجهاد فى الله تعالى .

٣ ـ النوع الثالث : وهو الجهاد فى الله حق الجهاد ،. لايصح حال أهله إلا بكمال مشاهد التوحيد ، حتى تخلص النوايا توحيدا ومعاملة . والواجب على المجاهد فى هذا المقام ـ إذا كان فى حضانة المرشد ـ ألا يتجاوز مقدار الشريعة إلا بإذن صريح من المرشد ، خشية من أن تلوح لامعة من بوارق قدس الجبروت على قواه الروحانية فتنمحى معالم رسمه ، وتنهار دعائم سوره فيقع فى التيه ، أو فى غياهب التشبيه ، لأن هذا الجهاد نهاية طريق آل العزائم فى حصون أهل الملامة ، ومعلوم أن أهل الملامة شيخهم الحقيقى رسول الله ﷺ ، لأنه أول من تحمل آلام الملامة الفادحة بالرضا عن الله تعالى ، والصبر على نجاة الناس من الشرك .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

ولآل العزائم فى هذا المقام أحوال علية ، لا تخرجهم عن الآداب الشرعية ، ولكنها تدل على كمال اليقين ، فقد يفارقون ما لابد لهم منه من الطعام أو الشراب والحظوظ والشهوات والمساكن والنساء والأولاد والأموال محتقرين كل ذلك فى جانب أنسهم بالله تعالى ، ومن أعطى الكل أخذ الكل ، قال تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله »[1] باعوا والله النفوسَ والنفائسَ بعزيمة صادقة وقبول ، فأعطاهم الله الكل ، وهذا غذاء الأرواح لا يطيب للأشباح ولا للعقول ، فقد تنكره أكمل العقول ، ومن قرأ تراجم من عذبوا فى الله من الصحابة يعلم مقدار أُنسهم بالآلام ، وفرحهم بفادِح المجاهدات .

وهذا المجاهد هو الذى أعانه الله على القيام بما أمره به فى قوله : « وجاهدوا فى الله حقَّ جهادِه »[2] بدليل قوله سبحانه : « هو اجتباكم »[3] وبإقامته مقام رسله نص قوله :

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

(٢) ، (٣) سورة الحج آية ٧٨ .

« وماجعل عليكم فى الدينِ من حرجٍ »[1] فهو يجاهد فى وجوده ونسبته إليه فيما أمده الله تعالى به ورتبته منه ، فارا من عوالم ملكه وملكوته ، ومن أُنسه بالمشاهد الروحانية ، ومن علمه ومعلومه ، ومن عرفانه ومعروفه كما قال تعالى : « ففروا إلى اللهِ إنى لكم منه نذيرٌ مبين »[2] وتفصيل أحوال هؤلاء لا تفى به العبارة ، ولا تبينه الإشارة ، قال ﷺ : « إن الله يكره لكم أن تبينوا كل البيان » وما فوق ذلك من البيان يكون من الفم للأذن للقلب ، وقد يكون بالإلهام من الله تعالى .

---

(١) سورة الحج آية ٧٨

(٢) سورة الذاريات آية ٥٠ .

الفصل الثالث

الطريق والحاجة إليه

ما احتياج المسلم إلى الطريق[1] ؟:

كل مسلم على يقين أنه مسافر إلى الدار الآخرة ، وأهل الإيمان منهم مسافرون إلى مقر رحمة الله ودار النعيم الأبدى ، وأهل الإحسان مسافرون إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأهل الإيقان مسافرون فرارا من الكونين إلى المكون جلّ جلاله . ولما كان المسافر إلى مكان ناء لا يخلو حاله : إما أن يكون عالما بالطريق متمرنا عليه أو لا ، فإن كان عالما به احتاج إلى رفيق يعينه على مهام شؤونه ، حتى يكون على يقين من أنه إذا نسى ذكّره وإذا ذكر أعانه ، وفى الحكمة : « الرفيق قبل الطريق » وإن كان جاهلا بالطريق احتاج إلى دليل موثوق به مشهور بين الناس بتوصيل المسافرين .

---

(١) انظر (مذكرة المرشدين والمسترشدين) ص ٥٦ وغيرها ، (معارج المقربين) ص ٥٩ وما بعدها (ودستور السالكين) ص ٢٧ ، ما بعدها للإمام المجدد أبى العزائم .

هذا ولما كان المسافر لابد أن يترك وراءه كل الآثار والمعالم التى تحول بينه وبين نيل المقصد من وطنه ،وأهله ، وأولاده ، وأقاربه ، حتى يتسنى له نيل هذا المقصد العظيم ، فكذلك المسافر إلى مقصد من المقاصد المتقدمة لابد أن يفارق معالم وأثارا كثيرة تحجبه وتبعده عن مقصده ، والحجب فى السفر المعنوى أكثف وأشد من الحجب فى السفر الحسى ، فقد وصل العقل إلى مقدمات أنتجت له التكلم مع المحبوب النائى عنه بواسطة الموصل السلكى (المسرة) ، وأمكن العقل أن يضبط صدى صوت حبيبه محفوظا لديه ، يسمعه متى شاء بآلة تعقيب الصدى الحاكى « الفنغراف » ولكن هذا المقصد ليس للعقل اقتدار أن يقربه بآلةٍ أو بأداة ، بل لابُد من فادِح المجاهدات ، وعظيم المكافحات ، حتى يفارق كل تلك القواطع والحجب مرة واحدة ، وبدون مفارقتها لا يصل كما وصل الحس بمجهودات العقل ، فسمع صوت حبيبه محفوظاً أو ملفوظاً ، وقد يرى حبيبه بالتصوير وهو متكىء على فراشه ينظر إليه فى الصورة ويسمع صوته فى الآلة ، وذلك لأن الذى يفارقه المسافر إلى الحق حقائق فى ذات الشخص لا تفارقه إلا بفادِح المجهود ، وما دامت تغشى جوهر النفس ، فالنفس فى اللبس .

ولو حصل المسلم علوم الأولين والآخرين ولم يظفر بدليل ـ فى مقام جهالته بالطريق ـ أو برفيق ـ فى مقام علمه به ـ لا يصل إلى قصده ، ولو أن الله جل جلاله قدر ذلك فى أزله لأظهره فى ملائكته المجردين عن المادة ولوازمها ، أو منح ذلك رسله الكرام ، فإن الله تعالى ألزم الملائكة أن يتلقوا من آدم ، وأمر الرسل أن يتلقوا من جبريل ، وقد صحب جبريل رسول الله ﷺ فى إسرائه وفى سيره ـ وهو من تعلم جلالة وقدرا ـ حفظا للناموس الإلـهى ، حتى ينفرد جل جلاله بالعلم بذاته لذاته .

هذا من حيث مايتعلق بهذا الموضوع عقلا ، أما من حيث الذوق فيه ، فإن العلم كالمال والعافية والجاه يكسب النفس غرورا وعلوا ، وهما العقبتان القاطعتان عن الله تعالى ، ولو أن العلم ينفع فى السير إلى الله تعالى لكان أول منتفع به إبليس ، وهو من تعلم علما ومعرفة بقدر نفسه وعلمه ، ولما لم يكن له مرشد يرشده ضل وهوى .

إن الله أرسل الرسل ـ وهو الحكيم العليم ـ لأنه خلق الخلق خطائين بأنفسهم ، جهلاء بحسب حقائقهم ، وجعل المرشد للسالك بمنزلة القوت للروح والعقل علما ، والغذاء للجسم

عملا ، ومنزل للواصل منزلة الشمس المبينة للحقائق ، ومنزل لأهل التمكين بمنزلة الاتحاد ، حتى يكون المتمكن مع المرشد هو هو ، حالا وعقيدة وعملا وشهودا . وأنت تعلم ياولدى أن الجسم الحى يفقد حياته بفقد الغذاء ، وأن العين المبصرة تخفى عليها الحقائق باحتجاب الشمس ، وأن المتمكن قربا من الله تعالى يفقد كرامة الله له بفقد ما به وصل إلى الله تعالى .

وإنما سميت مجاهدة النفس وتهذيبها ، وتجملها بمحاب الله ومراضيه طريقا ؛ لأن الإنسان فى هذا المقام يفارق عوائده المهلكة ، وأخلاقه الوحشية ، وهمته الإبليسية ، وصفاته البهيمية الشهوانية ، حتى يكون أشبه برسول الله ﷺ ، وما أعظم هذا الذى يفارقه ، وماأشد احتياجه إلى معين قوى مؤثر معتقد فيه .

وهناك فوق الذوق إشارة فسلم : إن الله تعالى ظهر لملائكته فى مظهره ، وظهر جل جلاله للسالك المخلص آمرا ناهيا مبينا فى مظهره الأكمل خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله ، وظهر ﷺ فى المرشد فيفصل لصاحبه حتى تبلغ العقيدة به مبلغ أنه يرى مخالفته مخالفة لرسول الله ﷺ .

لذلك كان لابد من الرفيق قبل الطريق . يقول ﷺ :

« اللهم ارحم خلفائى » وخلفاؤه ﷺ هم العلماء الربانيون الذين يحيون سنته بعد مواتها . ويقول الله تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أُولِي الأمرِ منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »(١) وأولو الأمر منهم هم الذين منحهم الله الفقه فى دينه لأنهم أهل أمر الله تعالى ، ومن لم يعتقد أن له مرشدا يصحح عليه حاله فهو مغرور بعيد عن الحق .

وهنا أُنبه السالك أن يحفظ الموازين مع أكمل المرشدين ، وألا يقبل من المرشد ـ فى كل مرتبة من مراتب السلوك ـ إلا مايعلمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صريحا أو تأويلا ، حتى يبلغ مقام الإلهام ، ولديها يجب أن يؤول للمرشد ،فإن لم يبلغ بتأويله فهم الحكم سلم له ، ووقف عن العمل ، حتى يمنحه الله نورا تستبين له به الحقيقة ، فإن المرشد إنما يزكى نفوس المريدين ، فهو طبيب روحانى يجب على السالك أن يتعاطى عقاقيره التى لا تخرجه عن آداب الشريعة ، مهما كانت ؛ كما إذا أمره بالأسباب وهو فى التجريد ، أو بالتجريد وهو فى الأسباب ، وأمثال ذلك .

---

(١) سورة النساء آية ٨٣ .

ما يناله السالك بانتسابه للطريق[1] :

الطريق والصراط والمنهج ألفاظ مترادفة يراد بها مايسهل به الوصول إلى المقصد ، آمنا سالكه على نفسه وماله من وعثاء السفر ، أو سوء المنقلب . وقد قررنا فيما سبق أن السالك إلى الله تعالى يفارق حقائق كثيرة ، لا يتسنى له الوصول ما دام واقفا عندها ، وكل حقيقة من تلك الحقائق كجبل سد مسلك المسافر إلى الله تعالى .

ولما كانت أسس الدين أربعة : العقيدة ، والعبادة ، والمعاملة ، والأخلاق . وكانت النجاة متوقفة على الأساس الأول الذى هو العقيدة ، وعلى قدر قوتها يكون الوصول ، فإن أصحاب رسول الله ﷺ سبقونا بقوة الإيمان وسبقنا التابعون بوسعة العلم ونحن جئنا بكثرة العمل . ولايساوى بقوة الإيمان شيئا ، فنحن فى حاجة إلى قوة الإيمان ولوجهلنا كل شيء إلا ما لابد منه لنا ، وتركنا كل عمل إلا ما فرضه الله علينا ، إذ وسعة العلم وكثرة العمل مع ضعف الإيمان لا تجدى شيئا ، ولكن العقيدة الحقة تنتج العبادة الحقة والأخلاق الجميلة

(١) راجع (دستور السالكين) ص ٢٨ .

« إنما يخشى الله ـ من عباده العلماءُ »[٣] ـ بنصب اسم

والمعاملة الحسنة ، والرعاية التى تجعل المسلم حاضرا مع الله ، أو موقنا بحضور الله معه ، يقول ﷺ : « .... فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[١] .

هذا والقائمون بالدعوة[٢] إلى الله أنواع ، فخيرهم وانفعهم من جمله الله تعالى بقوة الإيمان ، وبمعرفته سبحانه ، وبعلم حكمته وأيامه وأحكامه ، وهذا هو وارث رسول الله ﷺ ، وهو السعادة العظمى لمن سلم له ، وحصن الأمن لمن اقتدى به ، وهو المعنى بقوله ﷺ فى الحديث القدسى عن الله : (من آذى لى وليا فقد آذنتُه بالحرب) ، لأنه الصورة الكاملة لرسول الله ﷺ ، والخليفة القائم لله بالله ، مجدد المنهاج ، ومقيم الحجة ، ومبين المحجة ، وهو المراد بقول الله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماءُ »[٣] ـ بنصب اسم الجلالة ـ . ثم يلى هذا الفرد رجل منحه الله الورع فى دينه والخشوع فى عبادته ، وهو الزاهد العابد .

(١) صحيح مسلم ص ١٦٥ عن أبى هريرة .
(٢) انظر كتاب (شراب الأرواح) ص ٤٠ للإمام المجدد .
(٣) سورة فاطر آية ٢٨ .

ثم يلي هذا رجل منحه الله الرحمة فى قلبه والشفقة على عباده وهو من أهل المعاملة .

ثم يلي هذا رجل زكى الله نفسه ، وظهر أخلاقه حتى ذلت نفسه فى عينه ، وهو المتخلق بالأخلاق الجميلة .

وكل واحد من هؤلاء يجمل السالك على يده بما جمله الله به ، وكلنا نعلم أن الله يهب على الأخلاق ما لايهبه على غيرها ، فكل مسلم لا يتربى على يد مرشد لا يذوق لذة الإيمان ، ولا لذة التقوى ، وربما اغتر بأعماله فأفسد إبليس عليه حاله ، وكم سالك زلت به قدمه ، وواصل ارتد على وجهه ، ولا أمان لمكر الله ، فالسالك على يد المرشد فى حصون الأمن من وسوسة الشيطان وخدع النفس ، وبه ينال الرقى إلى مقامات اليقين من التوبة ، والخوف ، والرجاء ، والمحبة ، والتوكل ، والمشاهدة ، والرضا ، والصبر ، وغيرها ، حتى يبلغ مقام المقربين ، ويكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

إذاً يتعين على كل مسلم أن يتلقى تلك الأسرار ، وأن يقتدى بالمرشد فى الأعمال ليكون أشبه الناس برسول الله ﷺ . وكل مسلم لم يتلق العلم من العالم الربانى ولم يقتد

بالمرشد الكامل يخشى عليه من الشرك الخفى ، أو الأخفى ، من الغرور بالنفس والعمل والنسب والجاه ، نسأل الله السلامة من الآفات فى الهجرة إلى الله تعالى ، إنه مجيب الدعاء .

من هو المرشد ؟:

هو الدال على الخير ، العامل به ، الآمر بالمعروف ، والناهى عن المنكر .

وأنواع الإنسان أربعة :

١ ـ إنسان كلى : وهو رسول الله ﷺ .

٢ ـ وإنسان كامل : وهم الرسل القائمون مقامه ﷺ ، قبل إشراق شمسه المحمدية فى عالم الإمكان ، وأبداله صلوات الله عليه المجددون لسنته بعد رفعه عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى .

٣ ـ وإنسان روحانى : وهم السالكون المقتدون .

٤ ـ وأما الرابع : فحيوانى عاص من المسلمين ، أو شيطانى غاو كافر أو منافق .

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يخلق الإنسان وسطا بين

العالمين ، وأن يخفى عنه ما به سعادته الروحانية ، وأن يلهمه ما به سعادته الدنيوية ، قال سبحانه : « والله أخرجكم من بطون أمهاتِكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تشكرون »(١) . ومعلوم أن السمع والأبصار والأفئدة آلات لتحصيل العلم بالله وبأيام الله وبأحكام الله ، فالأذن تصغى للحكمة ، والعين تشهد أنواع الآيات فى الكائنات والقلب يفقه تلك العلوم .

أما ما يتعلق بالضرورى والكمالى من الدنيا ، فلا يتوقف تحصيله على مرشد ، لأن كل أنواع الحيوان ألهمت بالفطرة طريق تحصيل ما لابد لها منه ، والولد يولد من بطن أمه عالما بما به حفظ حياته من الرضاع إلهاما من الله تعالى .

ولما كانت العلوم والأعمال التى بها نيل مراضى الله ومحابه ليس للعقل أن يحصلها إلا بمرشد ، اقتضت الإرادة الإلهية أن يبعث الرسل مبشرين ومنذرين . ولما كان ماجاء به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، قد يخفى فهمه على أكثر الناس ـ بعد رفعهم إلى الرفيق الأعلى ـ تفضل الله تعالى فأناب عنهم

---

(١) سورة النحل آية ٧٨ .

أبدالا لهم ، يقيمون حججه ويوضحون محاجه ، ويبينون للناس سبله سبحانه ، لنحكم على عجز العقل عن نيل ما به السعادة ، بل وعن هجومه على الغيب المصون ، قال تعالى : « ثم إن علينا بيانه »(١) فهو المبين سبحانه ، ولكن يتفضل تنزلا فيبين لكل مرتبة من المراتب على قدر ما تطيقه القلوب ، قال تعالى : « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا »(٢) وقال عليه الصلاة والسلام : (رحم الله خلفائى) وقال صلوات الله عليه وسلامه : (يبعثُ الله على رأسِ كلِّ مائةِ عام من يجدد لهذه الأمة أمرَ دينها) . ومعلوم أن السالك فى طريق الله تعالى إذا لم يؤسس سيره علَى محبة الله ، ومحبة رسوله ﷺ ، وحب الخير لخاصة المسلمين وعامتهم لم ينل خيرا ، والسالك الذى لايقوم بإخلاص عاملا لله على هدى رسول الله ﷺ قلَّ أن يصل إلى مقصوده .

ولما كانت محبة الله تعالى لا يظفر بها السالك إلا بسماع ما له علينا سبحانه من النعم ، وفهم أنوار جماله وأسرار بهائه ، وعظمة جلاله ، وسواطع أنواره ، وإدراك مراتب الوجود ،

---

(١) سورة القيامة آية ١٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩ .

ونسبته فى مرتبته ، وما تفضل الله به عليه من خلقه بيديه ، ومن نفخته فيه من روحه ، وسر سجود الملائكة لآدم ، وحكمة جعله خليفة عنه فى الأرض ، وعنايته سبحانه بالإنسان حتى أعد له مالا عين رأت ولا أذن سمعت فى جوار قدسه ، ومنازل الأطهار من خيرة خلقه ، وبذلك يحصل له الحب الجذاب إلى حضرة القرب من الله تعالى .

ولما كان كل ذلك لا يناله السالك إلا بصحبة المرشد القائم مقام رسول الله ﷺ كان لابد لكل سالك من مرشد ، فالمرشد فى الحقيقة هو صورة رسول الله صلوات الله عليه المجملة بجماله المحمدى إلا أنه لا يوحى إليه ، انطوت النبوة بين جنبيه ، وحفظ الله قلبه ولسانه ، لأنه ممد من روح العصمة ، فهو النجم المضىء لأهل عصره ، وقد جعل ﷺ المرشدين ـ فى مقام التمكين ـ إخوانا له فى الحديث الطويل : « وددت لو رأيت إخوانى الذين لما يأتوا بعد » بسند مالك بن أنس فى موطئه ، فأنزلهم منه صلوات الله عليه منزلة الإخوان لأن الله تعالى أكرمهم بأن جعلهم ورثة أنبيائه .

وللمرشد اقتباس من مشكاة رسول الله ﷺ تنكشف به غياهب البدع ، وظلمات الفتن فى كل زمان ، فهو حجة الله

تعالى القائم للحى القيوم ، وهو الإنسان المجمل بجمال الصديقين قولا وعملا وعلما وخلقا وعبادة ومعاملة وعقيدة ، كما قال ﷺ : « الوليُّ من إذا رُؤى ذُكر الله لرؤيته » وقال أيضا : « الولى إذا دخل بلدا كمل إيمانُ أهلِها » .

المرشد ينوع الأفكار ويقوى اليقين الحق ، وتزكو به النفوس ، وتنشط الأبدان للعبادة ، ومن أكمل صفاته أن الله يلقى عليه محبة منه فلا يراه مؤمن إلا أحبه ، ولا منافق إلا هابه ، ولا كافر إلا خاف منه ، فهو صورة رسول الله ﷺ والمرآة التى أشرقت فيها معانيه المحمدية .

من هو السالك ؟[1] :

هو إنسان مسلم منحه الله النور الذى يقبل به الخير ـ والنور فى اصطلاحنا هو القابل ـ وحفظه سبحانه وتعالى من فعل ما يخالف ما أنزل الله على نبيه ﷺ وإن قبله فى بدايته من غير المرشد الكامل ألهمه الله الفرار إليه سبحانه ودله على المرشد ، فكان من خير أصحابه ، لأن ما يجعله الله من النور فى قلب السالك إليه جل جلاله يستبين به الحق والباطل ، فيجذبه

(١) انظر (مذكرة المرشدين) ص ٧٥ ، ١٣٠ .

الله إلى الحق بدليل قوله تعالى : « اللهُ وليُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلماتِ إلى النورِ »(١) وقوله ﷺ : « يدُ المؤمنِ فى يمينِ الله كلما وقع أقامه » .

والسالك يشتاق إلى الحق ، والمشتاق إلى الحق قوى المسارعة إلى الحكمة ، ولشوقه إلى الحق إذا سمع كلمة حكمة تلقاها ولو من عدو لله ، قال رسول الله ﷺ : « الحكمةُ ضالةُ المؤمن يلتقطها أنىَّ وجدها » ، وسماع الحكمة يجعل النفوس تعظم حاملها ، ولكن قد يكون حامل الحكمة غير الحكيم يحفظها ولا يفقهها ، قال تعالى : « مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراةَ ثم لم يحملوها كمثل الحمارُ يحملُ أسفاراً »(٢) ، فإذا نطق الناطق بالحكمة قبلها السالك منه ، ثم وزن أحواله بهذا النور المجعول له من الله ، قال الله تعالى : « ومَن لم يجعل الله له نوراً فما له من نورٍ »(٣) .

فإذا اطمأن لها قلبه ، وشهد من الحكيم العمل بها أحبه واقتدى بعلمه ، وعمله ، وحاله ، وإذا لم يطمئن قلبه ولم يشهد

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧ .
(٢) سورة الجمعة آية ٥ .
(٣) سورة النور آية ٤٠ .

عمله بالحكمة أخذ منه الحكمة وفارقه . فليس كل محصل للعلم عالما ، ولا كل مبين للأحكام بدلا من أبدال الرسل ، قال الله تعالى : « واتلُ عليهم نبأَ الذى آتيناهُ آيٰتِناَ فانسلخَ منها فأتبعه الشيطانُ فكان من الغاوين »[1] . وقال ﷺ : « قراء أمتى فساقها » .

إذا فهمت ياولدى هذا ؛ فلا يعتبر السالك سالكا فى طريقنا إلا إذا جمله الله بكل تلك المعانى ، وأنت تعلم يابنى أن أصحاب رسول الله ﷺ كان بينهم المنافق ، والشاك ، والمتردد فى دينه ، والمظهر الإيمان لغرض من الأغراض ، وكلهم يرون من رسول الله الميل والتأليف ، مع إعلام الله إياه بحقيقة ما انطوت عليه قلوبهم ، قال ﷺ : « أُمِرتُ بمداراةِ الناسِ » وقد أمرنا ﷺ أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

فالسالك حقا من منحه الله التسليم وقدر له صحبة المرشد الكامل ، فأفرده بالقصد دون غيره من الخلق ، حبا فى أن يفوز بمعية رسول الله ﷺ بنيل صحبة أشبه الناس به شوقا إليه عليه الصلاة والسلام ، ويكون فى الحقيقة فى معية النبى عليه الصلاة

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٥ .

والسلام ، بمعنى أنه لا يعتبر للمرشد وجودا فيعظم أمره ونهيه ، وإنما يكون وجوده فى معية الحبيب المصطفى ، فيقبل من المرشد مايعلم أنه من السنة ، ويرد ما لا يفقهه قلبه من القول والعمل ، معتقدا أن السلوك هو العمل بصريح السنة والكتاب ، حتى يمنحه الله تعالى المراقبة أو المشاهدة ، فهو لا ينكر على المرشد الكامل فيما لا يفقهه قلبه ـ مما يعتقد أنه حق فى مرتبة المرشد مادام المرشد لا يفعل محرما ولا يقول بضلال ـ مثال ذلك : أن المرشد إذا ترك الأسباب أو عمل عملا يقتضى مهانة من تغيير هيئة ، أو فرار إلى الغابات ، أو فارق النساء والمشتهيات ، أو مالت نفسه إلى السماع ، أو زار الملوك والأمراء ، مما حصل للأفراد من المرشدين ، فلا يقلده السالك فى ذلك ولا ينكر عليه .

أما إذا فعل محرما ، أو أمر به ، أو ترك فريضة وجب على السالك مفارقته بسرعة ـ ولو كان المرشد يريد امتحان السالك فى طاعته أو يريد امتحانه فى يقينه برسول الله ﷺ ـ وعلى السالك فى مثل هذه الحال أن يستبين الأمر منه جليا مع التمنع عن الوقوع فيما يأمره به .

أما السالك الذى لا بصيرة له إذا قلد المرشد فى عمله

المتقدم ، أو سلم له فيما يعلم حرمته فلا يعتبر عندنا فقيرا من فقراء الطريق ، فإن المراد بالسلوك تجاوز عقبة الإلحاد والانتشال من وحلة التوحيد والتخلى عن نظر النفس ونزوعها ، حتى يكون السالك إنسانا مسلما مقبلا على الله بكليته .

أهم صفات السالك إلى الله تعالى :

١ ــ إيثاره إخوانه على نفسه .
٢ ــ الزهد فيما فى أيدى الناس إلا لضرورة مقتضية .
٣ ــ المسارعة إلى أن يكون نافعا لإخوانه بقدر استطاعته .
٤ ــ السمع والطاعة لله ولرسوله وللمرشد مادام آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر .

ومن أخص علامات السالك :

قبول ما لا يلائم نفسه بانشراح صدر وفرح ، والوقوف عند أدبه مع المرشد مهما أثنى عليه ورفعه ، وعدم الغرور بنفسه ولو أقبل عليه العالم أجمع ، ما دامت شمس المرشد مشرقة فى أفقه حتى يبلغ اليقين الحق .

السالك المصاحب للمرشد :

لم يبلغ درجة المرشد من العرفان . والمعرفة بها كمال التحقق فى العبودية ، وقد يرى بعض السالكين يعمل ما يخالف الشريعة مظهرا أنها من المعرفة ، ولو أن المعرفة تبيح مخالفة الشريعة لكان أولى بذلك الخلفاء الراشدون ، والمرشدون الكاملون ، ومعرفة تبيح مخالفة الشريعة معرفة ــ ولكنها معرفة الشيطان ــ وإلهام ــ ولكنه من إبليس ــ ومخالفة المرشد دليل على الخيبة .

ماهى المعرفة ؟:

المعرفة أن تعرف نفسك ، فتعرف بمعرفتها ربك ، وهل المعرفة التى تفقد العبد حقيقته حتى يكون إلها أو مخالفا لأحكام الإله معرفة ؟ كلا ، بل هى معرفة ظلومية وجهولية ، إنما المعرفة حفظ الأدب فى الطلب ، وكشف الحقيقة للحفظ من العطب ، ومتى كان العبد المقهور يصير ربا قادرا ؟.

والسالك يقف موقف الأدب مع المرشد فيعادى شهوده إن خالف عبارة المرشد ، ويكره إلهامه إن أخرجه عن الأدب مع المرشد ، والسالك فى طريقنا ميت أحياه الله وجعل له نورا يمشى به فى الناس من غير شك ولا إلباس ، وإشارات المرشد

كأشعة أنوار الشمس تظهر ماحسن ، وماقبح ، فتستبين النفوس الإبليسية من النفوس الملكوتية مع المرشد ، وقد قال الله تعالى : « يُضِلُّ به كثيراً ويهدى به كثيرا وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين »[١] .

وللسالك أخلاق روحانية وآداب إحسانية ، فهو فى الحقيقة عين المرشد وإن كان مريدا ومرادا لله تعالى وإن كان بعيدا فإن السالك ليست له إرادة ولكنه مراد من الأزل ، حفظنى الله وإخوتى المؤمنين جميعا من صحبة المضلين ، ومن الإصغاء إلى الجاهلين ، وبين لنا سبحانه كتابه وسنة نبيه بلسان وعمل أفراده المحصنين بحصون أمنه ، إنه مجيب الدعاء .

الأبدال والصديقون[١] :

شهود الوجود بعد وجود الشهود تلوين ، ومحو وجود الشهود تسليما للقرآن تمكين ، واتباع الحبيب فى التمكين برهان على محبة الله للمتمكن الأواه المنيب .

ومتى أحب الله العبد اقتطعه ، أو اصطنعه ، أو اختطفه ،

(١) سورة البقرة آية ٢٦ .

(٢) راجع كتاب : (دستور السالكين) .

فاصطفاه ، فجمله بجمال ظهور العبد وظهور الرب سبحانه ، فيكون محبا لله لأنه طلبة الله ، ويكون محبوبا لله لأنه صورة استجلاء معانى صفاته العلية ، وهذا هو الفرد الأكمل والإنسان الكلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

ويفوز بقسط من ميراثه الصديقون الذين ضين الله بهم عن أن يشهد غيرهم جلية مانالوا من عنده ، وما حظوا به من لدنه ، وهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة ، والأنجم المضيئة فى ظلمات الشبه ، قال تعالى : « وقليل ما هم »[1] يظهر الله منهم من يظهر ، ومع إظهاره ، فهو لدنه أو عنده ، ويخفى الله من يخفى ، ومع إخفائه فهو يمشى بما جعله الله له من النور فى الناس ، ومن ظفر بالخفى منهم مسلما ، صار بنفسه عالما ، ومن ظفر بمن أظهره الله صار عالما بالله ، وهو فرد من الأفراد الذين عند ربك ، قال سبحانه : « الله يصطفى من الملائكةِ رسلاً ومن الناس »[2] وهؤلاء هم الذين انطوت النبوة بين جوانبهم إلا أنه لا يوحى إليهم ، أعاننا الله على شكره ، وأقامنا عمالا له بالإخلاص ، متمتعين بالحضور فى ذكره .

---

(١) سورة صٓ آية ٢٤ .

(٢) سورة الحج آية ٧٥ .

الباب الثانى

من المكنون
الفصل الأول

الله ورسوله وآدم

الله جل جلاله :

هو الاسم الأعظم الواجب الوجود لذاته ، المفرد العلم الدال على الإله الحق دلالة جامعة لجميع الأسماء الحسنى والإلهية الأحدية ، الجامع للجمال والجلال ، والبهاء والنور والضياء ، والكمال لذاته بذاته .

ومن الأثر ترك التكلم فى اشتقاقه وجموده ، ومن اصطلم فى إلهانية الرب جل جلاله واصطنع لمهيمنيته سبحانه غاب عن الموجودات ، وفر من المكونات علوا وسفلا كما قال الله تعالى : « فَفِرُّوا إلى الله »(١) .

---

(١) سورة الداريات آية ٥٠ .

وأهل العزائم منحهم الله النور الذى به أفردوا حضرة هذا الاسم المقدس بالقصد دون غيره ، لما فى جميع الأسماء من الصفات التى تدعو السالك إلى التأله لها إلا هذا الاسم الأعظم ، فإنه ـ مع دلالته على جميع الكمالات استجماعا ـ لا يلحظ من اصطفاهم الله فى حالة الإلهانية[1] غير الأحدية فى عمأ العماء وغيب الغيب ، تفريدا للحضرة العلية بالقصد ، وفرارا من الغين إلى العين .

ذكره حضورا طمأنينة القلوب ، والنطق به وجودا خروج من الظلمات إلى النور ، وهو سبحانه وتعالى ولىُّ المؤمنين ، قال تعالى : « فالله هو الوَلِىُّ »[2]لا يخلص إيمان مؤمن من الشوب إلا إذا تأله له دون غيره ، وهو جل جلاله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

محمد رسول الله :

أول الرسل وخاتمهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذى أرسله الله رحمة

---

(١) إلا مهما فيه : وهو مقام من مقامات الملائكة الذين هم من عوالم عمار ما فوق العرش وهم الألهون لعظمته تعبداً وذلاً .

(٢) سورة الشورى آية ٩ .

للعالمين ، وسراجا منيرا أسرج سرج الرسل والأنبياء من قبله ، والصديقين والشهداء من بعده ، سماه الله سراجا منيرا ولم يسمه شمسا ، لأن السراج يسرج غيره ، ولكن الشمس لا تجعل شمسا غيرها ، وهو ﷺ أول الإرادة وآخر العمل .

وهنا أبسط لك بساط المؤانسة لتلحظ بعيون روحك وميضا من سر منازلاته ﷺ ، وتقتبس بسرك قبسا من مشكاته المحمدية ، تكون به متجملا باليقين الحق فى مقام العبودية المطلقة :

إن مقتضى كمال الأسماء والصفات إبراز المرائى التى تظهر فيها تلك المعانى ، ولما كان العالم أجمع إنما خلقه الله تعالى ليظهر سبحانه ببدائع إبداع صنعه ، وغرائب حكمته وعجائب قدرته ، وظهوره إما لنفسه فاعلا مختارا ، أو لخلقه ربا معبودا قادرا قهارا ، اقتضت إرادته الأزلية تعيين حقيقة كاملة قابلة لكمال تجليه وظهور معانيه ، فكانت تلك الحقيقة المختارة لحضرته : هى حقيقة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، اقتضت تلك الحقيقة فى حضرة العلم مقتضياتها التى بها تكون سدرة منتهى علوم الخلائق المغشية بكمال ظهور المعانى ـ معانى الأسماء الربانية ـ ومظهرا أكمل لكمال المعانى المناسبة لحضرة

الألوهة من العبودة والعبودية والعبادة ، روحا وعقلا وجسما وحسا ، ومقتضيات تلك الحقيقة ظهور :

(أ) عالم يطيع فلا يعصى ، وهو ثلاثة أنواع :

١ ـ أعلى عليين : وهم الآلهون المهيمون بجلال الله فوق عمار سمواته .

٢ ـ وعالون : وهم الحافون بعرش الرحمن وهم الكروبيون .

٣ ـ وعمار السموات وملكوت الأرض : وهم الملائكة المقربون .

(ب) ونوع يعصى ولا يطيع : وهم المردة وشياطين الجن .

(جـ) واقتضى الكمال الربانى أن تكون حقيقة أخرى قابلة للطاعة والمعصية، ليتم ظهور معانى الصفات ، فخلق سبحانه آدم ورفعه على الملائكة ، قال تعالى : « وعَلَّمَ آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثم عرضهم على الملائكةِ فقال أنبئونى بأسماءِ هؤلاءِ إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علمَ لنا إلا ماعلمتَنَا »[1] وآدم علّم الملائكة بعض الأسماء ، فكان آدم محيطا بكل الأسماء ،

---

(١) سورة البقرة آية ٣١ ـ ٣٢ .

والملائكة فى حاجة إلى تعلم بعض الأسماء من آدم ، لذلك قال الله تعالى : « ياآدمُ أنبئهم بأسمائِهم »[1] .

ظهر مقتضى إرادة الله فى تلك الحقيقة ، فأطاع آدم وعصى قال تعالى : « وعصى آدمُ رَبَّه فغوى »[2] إبرازا لسر الإرادة وإظهارا لتجلى الاسم التواب ، الغفور العفو ، وتنبيها لأولاده من بعده أن يسرعوا بالتوبة إذا أخطأوا ، فانبلجت حقيقة إرادة الله تعالى فى إظهار آدم .

افتتح سبحانه وتعالى إبراز تلك الحقائق بآدم ، ليكاشف من اجتباهم بحقيقة نشأتهم الأولى أنها من أركان الوجود : التراب والماء والهواء والنار . فيعلم الإنسان نشأته الأولى فيقف موقف العبد خشوعا لربه ، ولذلك فالله تعالى كرر تلك الحقيقة فى القرآن أكثر مما كرر غيرها ، وهى الدواء الأخير لمرض الشرا المنزل منزلة الكى فى المرض العضال ، فكم قال الله تعالى « ولقد خلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طين ثم جعلناه نطفةً فى قرارٍ مكينٍ »[3] فأثبت أن نشأة الإنسان الأولى من طين أو ما

---

(١) سورة البقرة آية ٣٣ .
(٢) سورة طه آية ١٢١ .
(٣) سورة المؤمنون آية ١٢ ـ ١٣ .

مهين ،يستحضر عند إسباغ آلاء الله عليه رتبته الأولى ، شاكرا الله على جزيل نعماه .

وإنى أبين لك فى هذه العجالة ما يمكن أن يحيط به عبد ووجه بأنوار تلك المكانة المحمدية على قدره ـ لا على قدر مكانتها من الله ـ قال سبحانه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[1] :

خلق الله نور حبيبه محمد ﷺ من نوره : فهو العقل الأول الذى نظر الله إليه بدءا وخلق لأجله العالم أجمع ، تجلى فيه تجليا عاما حتى شوهدت تلك الأنوار القدسية لأعلى عليين ولعالين ، وللملائكة عمار ملكوت الله تعالى ، فكان آدم مظهرا لشهود تلك المعانى للملائكة ، ورسول الله ﷺ المظهر الأكمل لشهود تلك الغيوب القدسية للعالم الروحانى العالى والأعلى ، وبتلك الجمالات نفسها زج به فى نور القدس ووقف جبريل ـ الذى هو الروح الأمين ـ دون سدرته المحمدية قائلا : لو تقدمت لاحترقت . وواثَق الله الرسل بدءا له ﷺ فكان المواثِق ـ بكسر الثاء ـ هو الله ، والمواثَق ـ بفتح الثاء ـ حقائق الرسل صلوات الله عليهم ، فأشهدهم سبحانه وتعالى ظهوره حقا فى

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

حقيقة حبيبه ومصطفاه ، ليلحظوا ـ بالعيون التى وهبها لهم ـ محاب الله ومراضيه فيما تقتضيه تلك الحقيقة ، فصارت ـ بكمال الاستحضار ـ معالم بين أعينهم فى طورهم الدنيوى ، يمثلونها للأمم ، ويرسمون صورتها على جواهر نفوس العالم ، وتشرق بهم شمسه ﷺ ، ولم يخل سفر من الأسفار ـ من لدن آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام ـ إلا وتجمل بذكر اسمه ، والحث على اتباعه والتوسل إلى الله تعالى بجاهه ، كتم ذلك أعداء الحق من أهل الكتاب ، ولكن القرآن الكريم بين لنا ذلك جليا .

قام الله لحبيبه بدءاً ، وأقام حبيبه مقامه ختما فقال سبحانه : « إن الذين يبايعونَك إنما يبايعونَ الله يدُ الله فوق أيديهم »[1] فانظر بعين روحك ، واصغ بآذانها ، واحجب عن أذن حسك وعقلك فإن المقام فوق العقول ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بعث الله الرسل قبله بما لابد لأهل كل زمان من الكمالات التى بها يكون الناس فى أمن وأمان ، وعلم بما يجب عليهم ،

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

حتى تم الدور وتأهل الناس للكمال المطلق ، فأشرقت تلك الشمس الكلية بكل الكمالات التى منحها الله للرسل منه ﷺ ، فكان ماجاء به الرسل قبله كمالات نابوا فى تبليغها عنه ، وهو ﷺ أصل تلك الكمالات ، فلما أشرقت شمسه ، أشرقت بالكمال المطلق الذى يدل عليه قوله تعالى : « اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا »[1] .

وقد أنزل الله تعالى أمة حبيبه ومصطفاه منزلة الرسل فى كل مقاماتهم ، فكأنه قال للرسل : اعملوا ولا حرج – لعصمتهم – وقال لنا : « وما جعلَ عليكم فى الدينِ من حرج »[2] وأثبت للرسل الشهادة على الناس يوم القيامة وأثبتها لنا ، قال تعالى : « شهداء على الناسِ »[3] وواثق الرسل له ﷺ ، وأثبت أنه بايعنا بنفسه ، وبين للرسل بطريق الوحى وأبقى فينا هذا المقام مقام البيان قال تعالى : « ... لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم »[4] وأثبت الخيرية للرسل

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٤) سورة النساء آية ٨٣ .

وأثبتها لنا . انظر بعين عقلك لما أقول ، فإن إثبات الخيرية للرسل بالوحى وإثباتها لنا بطريق الإلهام قال تعالى : « كنتم خيرَ أمةٍ أُخرِجت للناسِ تأمرون بالمعروفِ وتنهون عن المنكر »(١) وهى وظيفة الرسل ، فكما أقامهم صلوات الله عليهم مقامه ﷺ ، أقامنا نحن مقامه ﷺ .

انتسخت شرائع الرسل وشريعته باقية لم تنسخ ولن تنسخ إن شاء الله تعالى ، وهذا يدل على بقائه محفوظا فينا ، ونعوذ بالله من زمان نفقد فيه رسول الله ﷺ بيانا وتعليما وعملا وحالا ، قال سبحانه : « واعلموا أن فيكم رسولَ الله »(٢) وقال الله سبحانه وتعالى : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ أفإن ماتَ أو قُتل انقلبتم على أعقابِكم »(٣) فأشار بالموت أو القتل إلى محمد ﷺ ، وقال فى مقام حفظه فينا : « إنا نحن نزلنا الذكرَ وإنا له لحافظون »(٤) خلق الله العالمَ لمحمد ﷺ ، وخلق محمدا ﷺ لله لأنه مراده المحبوب الذى هو

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) سورة الحجرات آية ٧ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

(٤) سورة الحجر آية ٩

مظهر كمال ظهور صفاته العلية ، والحقيقة الظاهرة الجلية المجملة بمحابه ومراضيه ، من الأعمال التى أرادها لنفسه وأمر خلقه بعملها .

أرسله الله رحمة للعالمين ، ونعم ، لأنه رحم الحس بما أباحه له من النظر والسمع والشم والذوق واللمس والتمتع بنعم الله من مسرات الملك والملكوت ، ولم يكن ذلك قبله ﷺ لنبى ولا لولى .

رحم الجسم ﷺ بما متعه الله به من الزينة والرياش ، والتنعم بالمشتهيات المباحة شرعا والجزاء عليها إذا استعملها العبد بطريق الرعاية ، قال سبحانه وتعالى : « قل من حرم زينة اللهِ التى أخرج لعبادِه والطيباتِ من الرزقِ »(١) .

رحم العقل صلوات الله عليه لأنه جعله السلطان الفاعل فى الهيكل الإنسانى وأمر بالاقتداء به ، والنظر به فى كل الحقائق ، فأظهر العقل سر تسخير ما فى السموات ومافى الأرض للإنسان وذلت الحقائق كلها أمام الإنسان بعد أن كان يعبد الأنهار ويقدس البهائم والأناسى ، فظفر العقل بنهاية بغيته به ﷺ ،

---

(١) سورة الأعراف آية ٣٢ .

وتلك الحقائق جلية ، إذ قبله ﷺ كان العقل مملوكا للشهوة والحظ والهوى ، فكان الإنسان يعبد الحجر ويذل له ، حتى بلغت عزة المسلم الذى خرج من الجاهلية العمياء أن يطأ ربه الذى كان يعبده بنعله ، وكم من جاهلى أسلم فكسر الصنم إذلالا له وإعزازا للحق ، وكثير منهم أخذ قطع الأصنام فجعلها توضع فى المراحيض .

رحم الروح صلوات الله عليه وسلامه ، بما أنعم الله به عليها من شهود آياته الجلية فى الكائنات ، وأنواره الدالة على وحدانيته فى الآثار ، ومن سياحتها فى ملكوته الأعلى ، ومن إشرافها ـ إذا كملت ـ على قدس عزته وجبروته .

رحم الملائكة وعالين وأعلى عليين بما جمل الله به المسلمين من معانى رضوانه وعفوه ، وغفرانه وقبوله ومواجهته ، وأهل حظائر الملك يؤنسهم ويسرهم رضا مولاهم .

رحم العالم الحيوانى والنباتى بما أودعه من الرحمة فى قلوب المسلمين الذين يستعملون تلك الأنواع .

فصدق الله العظيم : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[1] .

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

جمل الله حبيبه بأسمائه الحسنى ولم يجمل أحدا بهذا الجمال أبدا ، فقال تعالى : « حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »[1] .

وأكمل له الجمال ، بأن منحه كل أخلاقه الإلهية قال سبحانه : « وإنك لعلى خلق عظيم »[2] بإضافة خلق إلى عظيم ، يعنى لعلى خلق الله تعالى .

أثبت له الشفاعة العظمى إثباتا جليا بينا بقوله : « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنو ... »[3] وكلنا يفهم أنه رحمه الله العامة ، ومن منحه الله تلك الرحمة لايكون أنسه ومؤمن فى النار يعذب ، ومعنى أنه لا يخزيه سبحانه يقتضى أن يكون له طلب وأمل ومقصد ، وطلب هذا السيد العظيم ﷺ نجاة العالم الإسلامى فى هذا الموطن .

رفعه الله تعالى رفعة لم يرفعها أحدا أبدا ، فأقامه مقاما من الرفعة التى تناسب كمال الألوهية بجعل العالم أجمع يحمدونه

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٢) سورة القلم آية ٤ .

(٣) سورة التحريم آية ٨ .

ـ والحمد فى الحقيقة لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ـ قال : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »[1] والمقام المحمود ـ كما بينه العارف بعيون الكشف ـ أن يجلسه فوق العرش ويقول : يامحمد ، أنا منزه عن الجسم وغنى عن المكان ، فاجلس هنا ليعلم الناس قدر منزلتك عندى ، ولديها يحمده العالم أجمع ، وهو المقام المحمود .

جمل الله الرسل من جماله وقد ظفرنا ـ والحمد لله ـ بنسبتنا إليه مباشرة ، فنحن أمته ، وهو رسول الله إلينا ، وبه شرفنا ربنا وفضلنا ، وإن قصرت أعمارنا وقلت أعمالنا ، وقد أظهر الله سر قوله للملائكة : « إنى أعلم مالا تعلمون »[2] فينا نحن أمته ﷺ ، حيث وفقنا لطاعته ، وأشهدنا خفى مشاهد التوحيد ، فنحن نصلى ونستغفر كما أمرنا ﷺ ، والملائكة أثبتوا لأنفسهم التسبيح والتقديس : « ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »[3] ونحن نخشى من نسبة القربات إلينا فنستغفر الله منها إقرارا بأنه الفاعل المختار ، وأنه تفضل علينا فوفقنا لما يحبه .

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٩ .

(٢) ، (٣) سورة البقرة آية ٣٠ .

فله المنة والشكر فى أن أقامنا مقام محابه ومراضيه ، ونسب إلينا ما خلقه لنا ، فنخشى أن نغفل عن هذا المشهد فنستغفر الله تعالى رجوعا إليه ، وطلبا منه أن يستر علينا نقائصنا وجهلنا ، ولم يكن ذلك للملائكة ، وهذا المقام من المقامات التى لا ينزل فيها إلا خاصة أحبابه من المقربين فوق أهل اليمين ، وذلك لم يكن بجهودنا ، ولابكدنا ، ولكن ذلك فضل الله علينا بحبيبه وسيدنا محمد ﷺ .

تلك النعم يا أخى لا تقتضى بطرا وكفرا ، ولكنها تقتضى ذلا وشكرا ، فاستحضر يا أخى نشأتك الأولى ، وانظر إلى ماتفضل به الله عليك بانتسابك إلى هذا السيد العظيم ﷺ ، وقف موقف الحيرة عجزا عن حصر الآلاء ، والدهشة قصورا عن عد النعماء ، ثم انظر إلى هذا السيد بالعين التى تليق بما خوَّلك الله لتعلم مقدار فضل الله عليك ولتذكر نعمة الله ، قال تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم »(١) يعنى محمدا ﷺ .

والشكر يا أخى فى هذا المقام كمال اتباعه ﷺ ، ولا تعجب يا أخى ، فاتباعه ﷺ واجب لكلماته ، ولأنه شكر

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

للمنعم ، ولكن الله تفضل علينا باتباعنا له فجعلنا محبوبين له .

إن التاجر الكيِّس يترك النوم والراحة لربح قليل يزول بموته ، وربما كان لا ينفعه ، فكيف بك أيها العاقل وأنت باتباعك له ﷺ تمنح مسرات حسك ونعيم جسمك وبغية عقلك وطلبة روحك فى الدارين وتظفر بمحبة الله تعالى التى ترخص فى سبيلها الجنة ونعيمها ؟!!.

اعجب يا أخى ـ كل العجب ـ من رجل يعمل الخير لنفسه ، ليظفر بالحسنيين بتوفيق الله ومعونته ، ثم ينسب الله إليه ما أعانه على فعله كأنه أوجده وأبدعه ، ثم يمن الله عليه بمحبته جل جلاله ، كل ذلك بسبب اتباعه له صلى الله عليه وسلم ، فما أخف ما أمرنا به وأسهله ،وما أعظم وأجمل وأكمل ما تفضل به علينا ، فشقى والله عبدٌ عبَدَ هواه ، ولم يتبع رسول الله . أسأل الله سبحانه أن يوفقنا لكمال اتباعه ، وأن يمنحنا الإخلاص ، وأن يفنينا عن شهود الإخلاص فى أعمالنا حتى لايكون بيننا وبينه بيْن يحجبنا عن شهود جماله الظاهر وإحسانه الوافر ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

على القدسِ هَلْ أشْرَفْتُ فى حالةِ الصفا
فواجهنى المحبوبُ طه المصطفى
مواجَهَةَ الزُّلْفَى أم الشمسُ أشْرَقَتْ
فلاحَ الجميلُ الحقُّ جهرا بِلاَ خَفَا
وهَلْ أنا فى حالِ اتحاد به أنا
بَكوْنِي أمْ قد عُدْتُ للبدء مُنْصِفَا
فإن كان ما للرُّوحِ بدءاً يُرى لها
ورَسمِى صلصالٌ بِهَاويةِ الجفَا
تُحِيطُ بى الآثارُ من كل وجهتِي
وتجلى لى الأنوارُ والكونُ قد عَفَا
أَلِيجِى أياَ رُوحِى الحقائق لِي عسى
أشاهِدُ غَيْبَ الغيبِ فى حالةِ الوَفَا
أرى ساطِعَ الأنوارِ من غير حِجْبَة
وفى الكونِ ناسوتِى من الرَّيْنِ ما صَفَا
تَجردتُ فيما قد تَراءى لِنَاظِرِى
أبالرُّوح أشهَدهُ وحسى قد اختفى
فهل نَفَذَتْ رُوحِى إلى الأفقِ العلىِّ
ورسمى فى السورِ المحيطِ وما اقْتَفى

أم الكَوْكَبُ الدريُّ أشرق نورُهُ
أضاء معاليمى فصحَّ لِي الصَّفَا
نعمْ أشرَقَتْ شمسُ الرَّبيعِ مُضيئةً
تُدِيرُ لنا راحاً طَهوراً وقَرْقَفَا
أذِكرى بِبُشْرى أم ضِيا الوَجهِ لاح لِي
فستَّر ناسوتِي وقد كنت خَائِفَا
أم الفَرْدُ فى الذكرى تَنزَّل مُنْعِماً
على من صَفوا بالقرب فَضْلُ الإصْطِفاَ
أياَ سيدى الذِكْرى تُجدّد نَشْوتِي
فكُنْ سيدى بالفضْلِ والوَصْلِ مُسْعِفاَ
فأيامُ ذِكْرى مولدِ المصطفَى بها
بُلوغُ الأماِني أحْيِ هذا الدَّنِفَا
أيا سيدىِ نيلُ الرضاَ منك بُغْيتِى
وأنتَ غِياثِي أحى صبًّا شَغِفاَ

وقال رضى الله عنه :

تَمِلْتُ مِنَ الشَّميم بَصحْوِ فَرْقِي[1]

(١) أملى الإمام المجدد أبو العزائم هذه القصيدة ليلة الجمعة ٨ ربيع أول سنة ١٣٤٢ هـ .

فَكَيفَ إذا سقَاني جَمْعَ شَوْقِي
عبيـــرٌ أسْكَـــرَ الأروَاح لمَّاً
سَرَى سَحَرا فجدَّد نَارَ عِشْقِي
سَرَى من طِيبةٍ بُشْرى لروحى
يُليـــحُ لآلِهِ أنــــوَارَ حق
ألهتُ فغبتُ عنى فى شُهُودى
فأظهَـــرَ نُورَهُ بجلـــىٍّ رَقــــيِ
تراءى لِي بعهدِ (ألستُ)[1] عَيْناً
جُذبتُ به إليْـهِ بصدق رِقّـي
سمعتُ (ألستُ) كشفا فى اتصالِي
به ورأيتُ نورَ الوجـهِ فَوقـي
تَجليٌّ ظاهراً فى الكَوْنِ حتـىَّ
به أفنىَ شُهودِي حالَ مَحقْي
أنا سُتِرْتُ ولاحَ الوجـهُ نوراً
فأثبتنـــي له عَبــــداً بِعِتْقِــــى
ألاَحتْ لى (ألستُ) ضياَ المعالِي

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : « وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ... » سورة الأعراف آية ١٧٢ .

أمامِي الفردُ فى جَمعِي وفَرْقِي
أراهُ فى (ألستُ) وفى كيانى
جَليًّـا نُورُه غَرْبِـي وَشرقـي
يُستَّـرُ نورُهُ شرقـاً وغربـاً
أنا المصباحُ نُورُ وميض برقِي
فتُخفينى المبانى فى ظُهـورِى
تُظَللنـى المَعانـِي فى التَّـرَق
رُقِيِّى حفظُ مرْتَبتـى بِسُفْـلِ
أكونُ العبدَ فى أطوارِ خَلْقـي

رمز آدم :

رمز آدم عجيب جدا فوق جميع الرموز ، لا يتحقق وصول فرد من الأفراد إلا بعد أن يفلك له رمزه ، لأنه الجامع لكل الحقائق من العوالم ، والوسط بينها ، والصورة الكاملة للرحمن المجملة بجمال الخلافة عن ربنا جل جلاله ، ومن تناول من شراب قوله تعالى : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى »[1]

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .

وشم عبير قوله تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة »(1)
وفقه المحبة فى قوله : « مامنعك أن تسجدَ لما خلقتُ بيدى »(2)
بعد قوله تعالى : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء »(3)
وقوله سبحانه : « تبارك الذى بيده الملك »(4) يعلم أن آدمْ
رمز الرموز ، بل وكنز مضنون به على غير أهله .

رب معترض علينا يقول : إن الله تعالى قال : « والسماء
بنيناها بأيد »(5) فأجيبه غير لائم عليه بجهله بمتن اللغة العربية :
إن لفظة « أيد » ليست جمع (يد) بل هى مصدر آد يئيد
أيدا ، وأيد فى الآية الشريفة (قوة) أى : والسماء بنيناها
بقوة .

آدم وما أدراك ما آدم ، خذ منى بالإشارة وسلّم : إن أعلى
عليين بالنسبة لله تعالى كأسفل سافلين ، والله فوق العرش كما

---

(1) سورة البقرة آية ٣٠ .
(2) سورة ص آية ٧٥ .
(3) سورة يس آية ٨٣ .
(4) سورة الملك آية ١ .
(5) سورة الذاريات آية ٤٧ .

هو فوق الثرى ، وهو رب العرش العظيم كما هو رب الثرى ، والعرش والثرى سواء فى جانب الله تعالى ، وكما أن الثرى ما جانسه ولا لامسه ولا جسه ، فكذلك العرش ، ولكن الله يعظم ما شاء بما شاء ، ويقرب إليه من شاء ، ويبعد من شاء ، وينسب إليه من شاء وما شاء إحسانا وإكراما ، قال تعالى : (طهرا بيتى)[1] .

وقال سبحانه : « واذكر عبادنا »[2] وقال جل جلاله : « نعم العبد »[3] : وقال « إن الله اصطفى »[4] ولم تكن حقيقة من تلك الحقائق تستحق شيئا من ذلك .

اقتضت حكمته سبحانه أن يكون ذا الفضل العظيم ، والله يحفظ لكل رتبة من الوجود مكانتها التى بها تكون مقهورة مربوبة ، أبدعت بعد العدم ، وأوجدت بعد أن لم تكن .

ومن عوالمه أيضا عمار ما فوق العرش ، وهم الآلهون لعظمته تعبدا وذلا ، وما دونهم من عوالم الروحانيات العاليات

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .

(٢) سورة ص آية ٤٥ .

(٣) سورة ص آية ٤٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ٣٣ .

من الكروبيين الذين هم فى عظيم الكرب رهبة وخشية من جلاله وعزته ، وما دون ذلك من الحافين حول العرش المسبحين بحمده المسغفرين للمؤمنين ، وغيرهم من الملائكة عمار سمواته من السفرة البررة ، ومن المستنسخين لكتابة قدره ، والقائمين بتبليغ رسالته والحفظة الكرام ، وغيرهم من السائحين فى الأجواء ، والقائمين على الأرجاء ، وغير ذلك من الأفلاك المنتثرة بسفاح السماء التى أظهر الله بها عجائب حكمته ، وغرائب إتقان صنعه من ثابتات وسيارات ، وليس فيها ثابت إلا بالنسبة لنظر العين ، وكلها سيارات تسمى بالثابتة ، منها ماسيره بطىءٌ جدا وقد يقطع دورته فى مئات من السنين ، وغير ذلك مما هو بين السماء والأرض ، وليس بين السماء والأرض فضاء ، بل ما من نقطة من نقاط هذا الجو البسيط إلا وفيها من الحقائق المختلفة والأنواع المتباينة ما يحير العقول من جرم الأرض وما عليها وما فيها ، مما لو كشفت حقيقة ذرة منها ونطقت بلسان حالها مبينة مظهرها وحكمة إيجادها وارتباطها بها ؛ لعجز العقل الكامل عن أن يحيط بما فيها ، فسبحان من لايعلم قدره غيره .

خلق الله الأرواح العاليات جواهر نورانية ، وأجساما

روحانية ظاهرة جلية ، وخلق أسفل سافلين من كثافة ومادة ظلمانية ، ورفع العالم العلوى بصفاء جوهره وطهره من التضاد وسلامته من مقتضيات العناصر ، فهو صفاء بالفطرة ، ونور بالحقيقة ، وهو مقهور لقهار ، مربوب لرب ، فقهره وهو القهار بأن أظهر له بأنه لا فرق بينه وبين أسفل سافلين ، بالنسبة للقهار القادر ، وأنه جل جلاله هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل ، فله المجد والكبرياء والنزاهة والطهر والقداسة ، يقرب ما شاء ـ لا لأن الذى قربه يستحق القرب ـ ويرفع ماشاء ـ فضلا وإحسانا ـ .

ولما كان القهار اسما من أسمائه الحسنى ـ وأسماؤه كلها حسنى ـ قهر العالم الأعلى قهرا هو عين الإحسان إليه ليحفظ الله له مكانته التى بها يدوم قربه من الله ، وتدوم سلامته من البعد والقطيعة واللعن ، فالقهر فى الحقيقة إحسان ، لأن القهار اسم من أسمائه الحسنى ، قال تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة »[1] وقالت الملائكة الذين هم من أصفى الجواهر ـ لوقوفهم عند معرفتهم التى نالوها بقدر مكانتهم من مراتب

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

الوجود لابقدر الإطلاق الربانى : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »(١) فكانت تلك نزعة من نزوع النفس الملكية التى علمت من نفسها بتلك الخصوصية بالنسبة لمجانستها للطهارة والصفاء من كدورات المادة ولوازمها ، فأثبتت جهلها أمام ربها بعد بيان الحكمة بقولها : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا »(٢) وقامت الحجة لله تعالى أنه إنما ينفذ ما قدره بحكمه وعلمه بقوله تعالى : « إنى أعلم ما لا تعلمون »(٣) .

ثم قهرهم قهرا ثانيا بأن جعل آدم أستاذا لهم ومرشدا ، ليزيدهم علما ، وليلزمهم الأدب ـ مع صفاء جوهرهم للجناب المقدس ـ فآدم يعنى الإنسان والكنز الجامع لأنواع الجواهر من أعلى عليين لأسفل سافلين ، وقد زاده الله على كل حقائق العالم بقوله : « ونفختُ فيه من رُوحى »(٤) فالإنسان مخلوق باليدين ، ففيه كل الحقائق ، وهى الحجة التى أقامها الله على إبليس فلعنه وطرده ، فقهر الله من قهر بالإحسان ، وقهر

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٢ .
(٣) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٤) سورة الحجر آية ٢٩ .

من قهر بالانتقام ، وكل الأسماء الإلهية تفيض الخير والإحسان وتفيض القهر والجلال ، ومن تفضل الله عليه بالإحسان والنعم فى الدنيا ولم يشكر نعمة الله عليه كانت عليه عذابا ونقمة يوم القيامة ، فآدم ـ وهو درة العقد بل وهو من طين لازب ـ كمل الله به عوالم عالين ، وطرد الله به أهل الشقاء من النفوس الشريرة .

والحجر الأسعد رمز للناس كرمز آدم للملائكة ، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ـ وهو من طين ـ ليقهرها ليدوم لها القرب من الله والحظوة لديه ، أمر الناس بحج البيت ، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسجد بوجوهنا على الحجر الأسعد ليقهرنا سبحانه وتعالى حفظا لمكانتنا العبدية ، لتعظيم أمره بالطواف حول الكعبة ، ولثم الحجر الأسعد ـ وهو حجر ـ ومن خالف الأمر لعن وطرد ، ومن أطاع الأمر رفع ، وهو القهار المحسن بقهره إلى من سبقت لهم الحسنى ، وهو هو الموفق المعين لمن أحبه ، والمقدر البعد على من لم تسبق لهم الحسنى ، وله الحجة

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

البالغة على خلقه « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »[1] وفى الإشارة بيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

آدم وحواء وإبليس :

يقول الله تعالى : « إليه يصعد الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعهُ »[2] فكيف رفع إبليس إلى الجنة ودخلها ؟ ظن بعضهم أن جنة آدم كانت بستانا فى الهند ، وليس الأمر على ما أولوا ، وأن المكان المقدس لا يدخله إلا الطهر حقا ، فكيف دخل إبليس الجنة ؟!!.

هذا مُسَلَّم به ، لأن دخول المكان المقدس على سبيل الكرامة والإقامة مستحيل إلا على أهل هذا المكان ، ولكن الأماكن قد يدخلها الشرط (الجند) للابتلاء ، فإبليس ابتلاه الله وابتلى آدم فدخل الجنة لا للتكرمة والإقامة ، ولكن للابتلاء ، وهى جنة الخلد التى فوق السمٰوات .

أما آدم فلم يعلم أنها جنة الخلد ، لأنه لو علم وأكل من الشجرة رغبة فى الخلد بدلالة عدوه لكان كافرا لأنه لم يصدق

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

(٢) سورة فاطر آية ١٠ .

ربه . ولكن آدم أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها بأمر إبليس وهو لا يعلم أنها جنة الخلد لأنه سمع ربه يقول : « اسكن أنتَ وزوجُك الجنة »[1] ولو أكل عالما لقال الله تعالى : وكفر . ولكنه قال : « وعصى آدمُ ربَّه فغوى »[2] والمعصية هنا حقيقة ، وإن جهل من جهل نفسه فتأول ما لايليق به أن يتأوله ، وويحهم ، يقول الله تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى) لأنه خالف وأكل من الشجرة ، وأخبرنا الله فى القرآن أنه قال له ولإبليس : « اهبطا منها »[3] ثم قال : (جميعا) وهم يتأولون قول الله الظاهر .

وقد قدر الله معصية آدم ومعصية إبليس ليظهر كمال إطلاقه فى قدره ، وتدارك لطفه بمن سبقت له عنايته ، ليكون للمسلم مندوحة إذا وقع فى معصية أن يتوب إليه . وقد علمت الملائكة من قبل أن آدم ليس من أهل الجنة ، ولا تكون له دار إقامة إلا بعد أن يتولى ما أخبر الله به من قوله : « إنى جاعل فى الأرض

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥ .

(٢) سورة طه آية ١٢١ .

(٣) سورة طه آية ١٢٣ .

خليفة »(١) وتأويل من أول بأن آدم لم يعص سوء أدب مع الله تعالى ، ونظر إلى الحقائق بعين كليلة ، لأن الله لعن إبليس وطرده لمعصيته ،وذلك أنه سبحانه علم منه سوء القصد وإرادة الشر ، وعلم من آدم حسن القصد وإرادة الخير وهى العناية التى سبقت له ، فقدر المعصية وتداركه الله باللطف ، فهى معصية جازاه الله عليها بالإهباط إلى الأرض ، ولم يذكر حواء فى ذكر المعصية لأنها تابعة له فى الأكل ، والحكم على أحد المتساويين حكم عليهما .

والشجرة أشار الله إليها بقوله : (هذه الشجرة) ثم أشار إليها عند إتيان معصية آدم بقوله سبحانه : « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة » فالإشارة الأولى تعين أن الشجرة كانت مشهودة لآدم ، والثانية تعين أنها كانت بعيدة عنه ، لأنه حجب عن شهود تلك الحقائق لارتكابه المعصية .

وما ورد عن بعض أهل المعرفة من أن معصية آدم كانت صورية فهذا مشهد روحانى ، مأخذه مشاهد التوحيد العالية ، لا يقتضى سوء الأدب مع الشريعة المطهرة . وإذا كنا نتأول

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

أخبار الله الصريحة احتراما لذى مقامٍ عالٍ فنقول : إن آدم لم يعص ، والله يقول : (وعصى آدم) ويقول : (فغوى) ثم أردف ذلك بقوله : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى »[1] نكون أخطأنا .

والأولى أن نقف عند خبر الله تعالى ، لأن آدم ومن بعده فى هذا الجناب العلى العظيم عبيد مقهورون ، وعباد مربوبون لم يبلغوا درجة النزاهة والقداسة . والذى قدر المعصية قدر الاصطفاء ، والله يمنحنا الأدب ، ويلهمنا الصواب فى القول والعمل .

وقد وهم بعض من اطلع على كلام المؤولين فى هذه الآيات ، فظن أن هذا كلام السلف الصالح . والحقيقة أن الحديث الشريف الذى أخذ منه السلف الصالح يقتضى أن سيدنا موسى اعتقدها معصية ، وأن آدم عليه السلام اعترف باعتقاده فى صريح حديث البخارى فى قوله عليه الصلاة والسلام : (حج آدم موسى) والحديث مشهور ، وإنما تأول بعض العلماء هذه المعصية بأنها صورية لأن الجنة ليست دار

---

(١) سورة طه آية ١٢٢ .

تكليف . ونعم ، كان الرب العلى المطلق لم يكلف أهل الجنة إذا دخلوها بعد هذه الحياة ، ولكنه سبحانه خلق آدم ليكون خليفة فى الأرض ، وأدخله الجنة لحكمٍ لا تحصى منها :

أنه يريه نعيمها ومسراتها قبل إقامته خليفةً فى الأرض ليشتد شوقه إليها ، وليسارع إلى مايوصله إليها من دوام المجاهدة لنفسه وحظه وهواه ، رعاية لحقوق الله تعالى وحقوق نفسه وحقوق العباد ، فأسكنه الجنة ليبتليه بهذا المشهد ، ثم ابتلاه بإبليس ليوقعه فى المعصية ، ليتوب عليه سبحانه ، حتى لا يحصل له اليأس والقنوط إذا عصى الله فى دار الابتلاء ، فيقبل على الله تائباً موقناً بالقبول .

تقرر من هذا أن آدم لم يدخل الجنة للكرامة والإقامة ، ولكنه دخل لحكمة بالغةٍ بينتُ لك بعضها ، وإذا منحك الله وجود الشهود ألهمت أسرار هذا الإسكان فى الجنة وغيب هذا الابتلاء ، وتراه فى نفسك إذا بلغت مقام الرضا إن شاء الله تعالى ، وعلمت خلق إبليس ، وسر تسليطه على الإنسان ، وغريب تصريفه ، وقدرته على أن يشاركهم فى الأموال والأولاد ، وسر بقائه لليوم المعلوم .

وفى تلك الحقائق من الأسرار مايقف عندها العقل خاسئاً وحسيراً ، والتسليم سلامة ، والذوق عناية .

مضنون فى آدم :

أجلى فيك ما به التعريف لو فقهت ، ومنحك نوراً به التعرف لو علمت ، كما منحك أن تراه فيك وفى الآفاق ، بما اقتضته أسماؤه من الأخلاق ، فكنت مظهراً لظهوره ، أمرك لتظهر مقتضى حكمة إيجادك ، وهى ظهور عبوديتك ، ووفقك لتكون خليفة عنه فى الملك الصغير ، وسيداً وجيهاً متصرفاً فى الملك الكبير ، فأظهر صفاتك للعالم بك فيك ، وأعد لك فيك وفى الآفاق من المشاهد العلية مالا تبلغ ذوقه الكروبيون وأن تدرك منه سبحانه ماذقته فيك وفى الآفاق ، وما فوق ذلك من الكمال مما تذوقه فى شيء من غيره فذلك ما لا تدرك ، لأنك لم تذقه ، والذوق فوق العلم .

ولن يدركه أحد من العالمين ، فإننا إنما ندرك منه سبحانه ماهو فينا مما لم ينله أحد من العالمين سوانا . والسعادة والشرف الذى حصل لنا هو به سبحانه ليس بنا ذاتيا ، وما ليس لنا ذاتيا يقتضى الشكر ، ومن جهل فغره أنه مخلوق باليدين ، وأنه مظهر وظهور لتظهر صفات الربوبية ، ونسى أنه مظهر أيضاً

لظهور صفات العبودية حرم ذلك الملك الكبير ، ورد إلى أسفل سافلين السعير .

فتفضله بالإيجاد موجب لشكره ، وإحسانه إلينا بخلقه لنا بيديه ، ونفخه فينا من روحه ، وإقامتنا للخلافة عنه سبحانه موجب لعبادته ، ودوام الرهبة منه والخشية .

الملك الكبير المعبر عنه بالجنة :

الجنة معلومة لغة وشرعاً ، بينها القرآن المجيد ، ولا خلاف بين المسلمين فى الجنة ، وإن اختلف بعض من لا ذوق لهم فى أنها هل هى موجودة وأين مكانها ؟ وهذا الخلاف مردود على أهله ، لأن القرآن أثبت وجودها ، وأثبت أنها فى عليين وأن النار فى سجين ، بدليل : « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين »[١] ثم قال : (إن الأبرار لفى نعيم على الأرائك ينظرون)[٢] وقال سبحانه : (كلا إن كتاب الفجار لفى سجين)[٣] ثم قال : (وإن الفجار لفى جحيم)[٤] وقد عينت

(١) سورة المطففين آية ١٨ .
(٢) سورة المطففين آية ٢٢ ـ ٢٣ .
(٣) سورة المطففين آية ٧ .
(٤) سورة الانفطار آية ١٤ .

السنة مكان الجنة فى حديث الإسراء والمعراج ، وقد قال تعالى : (ولقد رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى)[1] .

والجنة جنتان ، قال تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[2] والجنتان : عاجلة وهى لأهل مقام الإحسان ، وآجلة وهى لهم ولأهل مقام الإيمان الذين فارقوا الدنيا على الإسلام : فالجنة العاجلة هى جنة الرضا عن الله تعالى ، وهى جنة الشهود وطمأنينة القلب بذكر الله تعالى عند كل شأن من الشؤون ، والكون كله جنة لأهل الرضا ، وهم الذين تنقلب لهم الحقائق لأنهم عند ربهم ، قال تعالى : « قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم »[3] وقال : (أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرقٍ كالطود العظيم)[4] .

وما تقول أيها المشتاق إلى الجنة العاجلة فى قومٍ عند ربهم لهم مايشاءون ؟! أو تقول فى قومٍ أعانهم الله تعالى ، فجاهدوا

---

(١) سورة النجم آية ١٣ ــ ١٥ .
(٢) سورة الرحمن آية ٤٦ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٦٩ .
(٤) سورة الشعراء آية ٦٣ .

فهداهم سبله فرفعهم إلى مقام القرب حيث قوله : (فأينما تولوا فثم وجه الله)[1] ؟! فمن جعل الله لهم المشيئة منحهم الملك الكبير ، ومن جاهدوا فهداهم سبله تفضل عليهم بالنعيم .

فالجنة العاجلة : جنة الأرواح التى تجردت من مقتضيات عناصرها ففرت إلى الله بجاذبة عنايته ، وجنة النعيم المقيم لمن خضعوا لسلطان الشريعة فكانت الدنيا سجناً لهم ـ وإن صرفهم الله فيها أكمل التصريف فى الكون ـ لأنهم تحت سلطان الشريعة فى تصرفاتهم .

ألق أذن روحك :

الجنة تستر من دخلها فلا يرى ما هو خارجها ولا يراه من هو خارجها ، وهى سر الأخذة الحقية قبل الاصطناع ، ومن أخذه الله عنده ضن به على خلقه فكان من ضنائن الله تعالى ، فلا يرى إلا الوجه حيث ولى وجهه ، ولايراه أحد .

يعرف بها حقيقة ما لديه من الله تعالى ، وهم أهل الجنة العاجلة ، وهؤلاء لا يحتاجون إلى جنةٍ آجلة ، وفى بعض الآثار

(١) سورة البقرة آية ١١٥ .

أنهم يفرون من الجنة ويقولون : تركناها أحوج مانكون إليها فى الدنيا ، فكيف نطلبها ونحن فى غنى بالمحبوب عنها ؟!!.

الجنة ظهور ظل معانى الصفات مستغرقة لكل المرآة ، والمأخوذ اقتطعه الله فى وجود شهوده ، وستر شهود وجوده ، وهؤلاء كثير فى كل قرنٍ ، فمنهم الهائم على وجهه فى القفار ، ومنهم المستتر عن الخلق بالملامتية[1] والابتذال[2] ، ومنهم الغائب عن الملك سياحة فى الملكوت ، ومنهم العاكف بقلبه على ربه معتزلا الناس بعد فقد خياله ووهمه ، فإن الخلوة لا يأذن بها المرشد لذى خيالٍ أو وهمٍ ، ولبس خرقة الملامتية لا يأمر به المرشد إلا لمن حصنه الله تعالى بالآداب الشرعية . ومنهم المخمور الذى لا يفيق ، ومنهم ، ومنهم ، وقد فصلت مجمل هذا فيما سبق من الكتب ، وكل هؤلاء فى الجنة ، يعنى فى الستر .

وفوق ذلك جنة : خذ بأذن السر ، أفراد أبدال الرسل الذين هم عشرة رجال أو خمسة أو سبعة ، هم جنة عالية ،

---

(١) الملامتية صفة لقوم من الصوفية يلومهم الغير على كل مايفعلونه ، وتلومهم أنفسهم إذا أخطأوا أو إذا فعلوا الخير ناقصا غير كامل ، والنفس اللوامة جزء لا يتجزأ من تكوينهم .

(٢) الابتذال : عدم صيانة الثوب .

وهم الشجر الذى غرسه الحق بيده ، وهم المعنيون بسبعين ألف حجاب من النور ، ستروا عن العقول والأوهام والخيالات بساطعة وميض الأحدية ، أو رذاذ غيث الواحديَّة ، أو نور زيت المشكاة المحمدى ، قال سبحانه : « هم درجات عند الله »(١) وهناك جنة أعلى لاتفى بها الإشارة ولاتبينها العبارة ، وهى تؤخذ بشذرات يبوح بها أهل الاتحاد(٢) فى مقام القهر الوجودى بعد الجذب الفنائى ، قال تعالى : « وما أُوتيتم من العلمِ إلا قليلا »(٣) .

جنـــة آدم :

بينت لك أنواع الجنان ، والجنة الآجلة ثمان درجات ومفاتيحها جوارحك المجترحة : القلب وجنوده ، ولما كان آدم هو المخلوق الذى تجلى فيه الحق لخلقه كما ورد ، أدخله فى الجنة التى فيها مسرات الحس ونعيم الجسم ، وغذاء الروح من

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٣ .

(٢) الاتحاد : أن تشهد الوجود لله الواحد الأحد أى أنك ترى كل شيء بالحق موجود ومعدوم بنفسه لا من حيث أن لك وجوداً خاصاً اتحد بالحق لأن هذا محال .

الحكمة ، ومحبة الله تعالى ، ليشتاق إليها بعد رده ــ وتلك الجنة هى طبقة من الفردوس ــ بدليل قوله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين »[1] ، وبدليل : « فأكلا منها فبدت لها سوءاتهما »[2] ، ومعلوم أن الجنة لاتقع فيها المعصية ، فقدر الله المعصية على آدم فى الجنة ليرده عنها عدلاً ، بعد أن أدخله فضلا ، وليعلمه أنه أخرجه منها بذنب فكيف يدخل فيها من عصاه فى الدنيا ؟! وليشجع خلقه على التوبة عند وقوع المعصية .

وقد بينت لك أن الله غرس الإنسان بيده فى جنة عدنه ، فالإنسان شجرة ربه ، وهو السدرة التى رأسها مغروس فى العرش وأطرافها مدلاة على الجنة ، وتلك الشجرة التى هى صورة الحق لها ثمر هو جمالها الذى يجب أن يحفظ لزارعها سبحانه ، فإذا تجاوز الإنسان حد العبودية وتناول ما هو خاص بربه ، عصى وغوى لحكمة بينت لك بعضها ، فرد إلى الأرض ليرتقى إلى مقامات القرب وليتجمل بجمال الخلافة ، فيكون مرآة لظهور معانى صفات ربه ، وحقيقة هى مظهر لظهور

---

(١) سورة التين آية ٥ .

(٢) سورة طه آية ١٢١ .

صفات نفسه وهى العبودية ، واسمع وسلم إن لم تذق ، فإن من حرم التسليم والذوق حرم الخير كله .

أودع الله أمانته فى آدم فنسى آدم ونسب لنفسه ماليس له فكان ما كان من ظهور سوءته ومن شدة وجله ، والله غالب على أمره ، قال سبحانه : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة)[1] وإن ما أكل آدم ما فيه من أمانه باريه ، منحنا الله الذوق ، وجملنا بالشوق ، وحفظنا من الإنكار ، إنه مجيب الدعاء .

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥ .

الفصل الثانى
من المضنون فى علوم اليقين

القـــرآن :[1]

القرآن المجيد مورد آل العزائم الروى ، وروضهم الجنى وحوضهم المورود ، وكوثرهم المشهود ، وميزان أحوالهم ، ومرجع مقاماتهم ، يسألونه قبل العمل ، فإن أذن سارعوا ، وإن منع تركوا واستغفروا ، فهو الإمام الناطق وإن صمت ، لأنهم يسمعونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسمعه آذان قلوبهم حضوراً ووجوداً ، وإن كان التالى له إنساناً آخر . وقفت بهم همتهم العلية على القرآن فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، لو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها ، أو مفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها فرحين بالسمع والطاعة ، تجلت لهم حقائق القرآن جلية ، وانبلجت لهم أنواره العلية ظاهرة ، فلم تبق بهم همة إلا فى القرآن ، ولا رغبة إلا فيه .

أحبوا القرآن حبا ينبىء عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه ،

---

(١) راجع كتاب (شراب الأرواح) ص ٢٦ .

كاشفهم الله تعالى بمراده فى كلامه ، وبحكمته فى أحكامه ، فكان سبحانه وتعالى أقرب إليهم من أنفسهم ، وتجلى لهم سبحانه فى كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم إذا سئل لم تعمل هذا ؟ يقول : أمرنى القرآن ، ولم تترك هذا ؟ يقول : نهانى القرآن ، وإذا طلب منه أمر يقول : مه حتى أستشير القرآن ، فيقرأ القرآن المرة والمرتين ، حتى تتضح له حقيقة حاله ، وسر قصده ، فيسارع إلى التنفيذ أو إلى الترك .

فالقرآن طهور الحب ، وحلل القرب ، ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية ، واقتطعته المشيئة ، واختطفته محبة الله السابقة له .

واعلم أنه لايجد فهم القرآن عبد فيه أدنى بدعة ، أو مصر على ذنب ، أو فى قلبه كبر ، أو مقارف لهوى قد استكن فى قلبه ، أو محب للدنيا ، أو عبد غير متحقق بالإيمان ، ولا مَن هو واقف عند مبناه غافل عن معناه ، ولا ناظر إلى قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر ، ولا راجع إلى معقوله . فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم ، مردودون إلى ما يقرر فى علومهم ، موقفون مع ما تقرر فى عقولهم .

أما العبد الذى يجد حلاوة القرآن ، ويكاشف بمشاهدته

فهو من قرأ ملقيا السمع بين يدى سميعه ، مصغيا إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعانى صفات شهيده ، ناظراً إلى قدرته ، تاركاً لمعقوله ، متبرئاً من حوله وقوته ، معظماً للمتكلم ، واقفا على حدوده ، مفتقراً إلى الفهم بحالٍ مستقيم ، وقلب سليمٍ ، وصفاء يقينٍ ، وقوة علم وتمكين ، سمع فصل الخطاب ، وشهد علم غيب الجواب .

قبس من المضنون فى القرآن :

رتل القرآن فى الاتحاد ، واتل كتاب ربك فى الاصطناع واصغ بأذن روحك لقراءة القرآن من مُنزله ، ثم اتبع قرآنه ترتيلاً ولا تعجل ، فإنك فى مقام بقاء بعد الفناء ، فالترتيل للقرآن شهود معانى صفات المتكلم فى كلامه ، وانبلاج أنوار حقائق الغيب المصون من الأسماء والصفات ، والغيب المضنون من مجلى الذات . وإنما يرتل القرآن ويتلو الكتاب ويقرأ القرآن السامع له من المتكلم سبحانه .

فالقرآن : إشارة إلى الكمال الذاتى ، وسورة الإخلاص ثلث القرآن ، وآية الكرسى ربع القرآن ، لبيانها للغيب المصون . والكتاب المرتل : أحكام وحكم . والذكر : أخبار وعبر . والنور .تبيان للوصول . والفرقان . بيان للحجة ،

واتضاح للمحجة . وإنما يرتل القرآن من منح العيان بعد البيان .

الأمانـــة :

الأمانة وما أدراك ما الأمانه ؟ غيب مكنون عن الروح به مضنون ، أشفقت السموات والأرض أن يحملنه خوفاً من التكليف ، وقد فازت بالتعريف ، وخشية من الظهور فى البطون ، ومن البطون فى الظهور .

الأمانة : هو ما حملته أمانة لديك ، ليس منك ولا فيك ، ولكنه منه جل جلاله ، والذى يصل إليه يفوز بالحظوة لديه ، ولأجله أمرت بالرياضات ، وكلفت بالمجاهدات ، ليحصل لك التوجه الذى به تواجه .

إذا أمكنك أن تدفع الواردات عن القلب بذكر اللسان فى منزلة الإنسان ، وأمكنك أن تذكر بالقلب مع إمساك اللسان ، وأمكنك أن تذكر بالقلب واللسان حضورا وغيابا ، لديها يظهر لك خافيك ، وتقع العين على العين بلا بين .

أحب ما فيك منه ، فهو المحبوب جل جلاله له لا أنت . وأحببه بما فيك منه ، إذا تجردت من مقتضيات عناصرك .

بالأمانة كلفت وعرفت ، وهى الثواب والعقاب ، إذا راق الشراب ، وكشف الحجاب عن بديع جمال الجناب .

محل الأمانة هو القلب الذى هو عرش الرحمن ـ لا الشكل الصنوبرى ـ المقلب فى الأكوان . حملها الإنسان فكان ظلوما جهولا حتى يحملها ، فيكون محمولا لا حاملاً ، وإشراقا لا مشرقا ، يصفو اللطيف من الكثيف ، ويحمل اللطيف بنوره هذا الكثيف ، فيكون الإنسان الكامل ـ وهو فى سافل المكان ـ فى أعلى مكان .

يرى بما فيه من الأمانه وجه الله حيث ولى ، ويلحظ بسره غيب القدس الأعلى حيث صلى . إذا لمع وميضها أخفى السور والرسم ، ومحا الوسم ، وألبس المحمول تاج الخلافة عن ربه ، وساح فى ملكوته الأعلى فأشرف على قدس عزته وجبروته .

الأمانة وما أدراك ما الأمانة ؟ نور معانى الصفات فى مرآة صقلت بالمواجهة ، وجملت بالمنازلة ، فظهر الغيب المصون ، وخفى المشهود بالعيون .

بالأمانة القرب والحب ، إذا وفى فصفا حاملها . والوفا الاتباع مجاهدة ، والصفا الاصطلام مواجهة ، وهما واحد وإن

كانا اثنين ، إذا زال الرين وأشرقت أنوار العين على العين ، وانكشفت حقائق الأشياء بحقيقة الاستجلاء .

هى الأمانةُ أوصافٌ وأخلاقُ بها الحنينُ إذا ما لاح إشراقُ
إشراقُها حضرةُ المحبوبِ يُظهرها فيشهدُ الغيبَ أفرادٌ وعشاقُ
هى الأمانة فوق العالمين عُلا يُجْلِي غوامضَها فى القربِ خَلَّاقُ
الرُّوحُ ظِلٌّ لها تُبدى محاسنَها بهاَ يصح الصفا والوصلُ إغراقُ
أنوارهُا أصعقت أهلَ الصفا جَذَبَتْ
أهلَ الفَنَا ولهم فى الحبِّ إشفاقُ
قد أسجدت لأبى الإنسان عَالَمَهُ
غيبٌ فلم تَرَهَا روحٌ وأحداقُ

العلم :

العلم الإلهى مبدؤه رعاية ماحصلته من العلوم ، ووسطه شهود الأشياء قامت بالحى القيوم ، حتى تشرق أنوار وجه الله فتحجب كون العارف حتى يراه . ونهايته إشراق نور الحكمة جلية مستبينة بها حقيقة الأشياء ، فيكون العبد عبداً مقهوراً بقهار ، مربوبا لرب غفار ، مشاهدا لأنوار قوله تعالى :

« وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون »[1] وهذه مراتب العلم الإلهى ، ثم الذوق ، فالكشف ، فالشهود ، فالفناء عنه ، ثم الفناء عن الفناء ، ولديها يكون العبد ربانيا يسمع بالله ويبصر بالله .

المتمكن يتلقى من الرب بالقلب ، لأن التمكين نور الله الذى يجعله فى قلوب أهل محبته ، وهذا القلب هو النور الذى تستبين به الحقائق سر قوله ﷺ : « واجعلنى كلى نورا » .

ولما كان هذا القلب متعلقا بالملأ الأعلى ، فإن كل مايرد عليه بين وارد ملكوتى أو وارد رحمانى ، وقلبه هو الحاكم عليه حتى ولو خالف حكمه حكم الوقت (استفتَ قلبَك ولو أفتاك وأفتوك المفتون) .

بين العلم والرعاية كما بين الغذاء ومستعمله فقد يوجد العلم وليس محله قابلا ، وقد يوجد القابل ولاعلم ، ومتى وجد العلم والقابل كان محله عالما ، وهو صفة الله تعالى ، وما أظل القدس بظله عبداً إلا وأخفاه عن نار بشريته ، وشرار إبليسيته ، وبرد جماديته ، ومقتضى نباتيته ، إلا ما لابد منه مما به حفظ الرتبة العبدية الحقة أمام مكانة الرب (ولمن خاف

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ .

مقام ربه جنتان)[1] ومن كان فى الجنة لاتميل به الشؤون مهما اقتضاها مكانه الحيوانى أو مقامه الإنسانى ، لاختطافه بيد العناية مع انغماسه فى كل ذلك ، ونظره إلى الأسباب موجبة قائمة بعينى رأسه ، واختفائها عن عيون بصيرته بسطوع أنوار المسبب جل جلاله ، هذا فى حضرة القلب .

وإذا كان القلب برزخاً بين الروح والفؤاد كان الإنسان مشكاة تلك الأنوار مثالاً ، وحقيقتها نيابة ، ونورها فيضاً قدسياً للعالم أجمع ، وهو فى نظره صلصال من طين ، أو ماء مهين ، لا يراه من رآه إلا إذا سمع خبره وذكراه ممن رآه حقا .

العالِــــم :

العالم ثلاثة :

١ ـ ربانى تكشف له حكم الأحكام .

٢ ـ ونورانى تكشف له معانى الأسماء والصفات .

٣ ـ وذاتى مؤله ممحوق دون فناء كمالان الذات .

فالربانى بين الحكمة عن غيانها ، والنورانى بين أسرار التجلى

(١) سورة الرحمن آية ٤٦ .

عن عيانها ، والذاتى يحرق القلوب بالشوق إلى الله عن غيب مصون لا يلحظ .

لهذا أشهد خير رسله عن عيان ، قال تعالى : (وكذلك نرى إبراهيم)[1] عند شهادته للخلق ، وكذلك : (سبحان الذى أسرى بعبده)[2] ليكون ما يخبر به عباد الله خبرا عن عيان . وورثة رسل الله ، ما كان حق يقين للرسول هو عين يقين لهم ، وما كان عين يقين للرسول علم يقين لهم ، وما كان علم يقين للرسول ﷺ تسليما منهم له وإيمانا بالغيب .

الإيمـــان[1] :

يقين عن تسليم يباشر القلب فيتسع له تجويفه حتى يمتلىء اعتقاداً بما ورد به القرآن الكريم وقررته السنة المحمدية من عقائد تزيل الشرك والشك ، ويطمئن به طمأنينة تبعث من كمال يقينه انشراحاً يعم كل الأعضاء ، فيكون المؤمن على بينة

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٥ .

(٢) سورة الإسراء آية ١ .

(١) انظر (شراب الأرواح) ص ٧٧ (ومعارج المقربين) الفصل الثانى من الباب الثالث .

من ربه ، ويقوى هذا الانشراح بقوة الإيمان ، فتلين جميع الأعضاء للقيام ــ بحسب الاستطاعة عن توفيق الموفق سبحانه ــ بجميع الأوامر الشرعية بسرور ولذة وحبور ، لا يشوب ذلك مهل ولا تهاون . وعلامة الإيمان اشتغال العبد بعيوب نفسه ، ودوام مراقبتها فى سرها وعلنها ، حتى لا يهم إلا بما هو لله سبحانه خالصا .

متى ارتسمت صورة الإيمان بمعانى المؤمن به على جوهر النفس حصل اليقين بلا لبس ، وليس بعد العيان بيان ، ومن رسم صور حظوظه وشهواته على جوهر نفسه تسلى بما يفنى وأنس بما يزول ، وحصلت له الوحشة من الحق ، والأنس بالخلق ، ولديها يكشف الله ستره عنه فيبغضه الحق والخلق .

لا إيمان إلا بعد الانتشال من وحلة التوحيد وبادية الإلحاد .

المؤمن لا يغيب عنه رسول الله ﷺ إن لم يكن عيانا فبيانا .

إذا باشر نور الإيمان سويداء القلب اطمأن القلب إليه ، لأنه تهش إليه النفس وتبش .

أهل القلوب فى شغل بعلام الغيوب عن العيوب ، فكيف يشتغلون بالجيوب ؟!!.

المؤمن العبد مرآة المؤمن الحق .

علم الإيمان ينتج شهود الملكوت ، وعلم الإيقان يشرف بصاحبه على قدس العزة والجبروت .

للطيفِ الخبيرِ أرفعُ أمْرِى
وبهِ فِي الوجودِ يرفع قَدرى
كيف يَرجُو عبد من العبد عوناً
والكريُم الحليمُ عَوْنِى وذُخْرِى
وَيقِينِي باللهِ أضحَىَ قويا
بفؤادِي وظاهرِي وبسرى

بين مشاهد أهل الإيمان ومشاهد أهل اليقين الحق ، كما بين الكادح فى الكون والمؤانس بالمكوِّن ، فأهل الإيمان لهم السياحة فى ملكوته ، وأهل اليقين لهم الإشراف على قدس عزته وجبروته ، قرب منهم بنعموته ، وقربهم إليه بما جملهم به من كمال العبودية لعزته وجبروته .

والعبودة فوق الرسالة قدرا ، فإن العبد مقبل بالكلية على الرب ، والرسول مقبل بالكلية على الخلق ولذلك فإنك تقول : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) فتبدأ بالعبودة قبل الرسالة لشرفها ومكانتها العلية ، وإنما أعنى بالعبودة عبودة الرسل لا عبودة الأولياء والأنبياء ، وكذلك

العبودة فى مقام الولاية فوق الدعوة إلى الله سر قوله سبحانه : « سبحان الذى أسرى بعبده »(١) .

التوحيـــد(٢) :

التوحيد ثلاثة أنواع :

أولا : توحيد الله .

ثانيا : توحيد الناس الله بالله .

ثالثا : توحيد الناس الله بأنفسهم ، وهذا هو الشرك الخفى .

التوحيد محو غير الواحد مع قيام الثانى بالقيومية ، مسارعا إلى ما يحبه الواحد ، وإن حرم الثانى ما يحبه .

التوحيد أوله تسليم ، ووسطه اتحاد بالعليم ، وآخره قيام بالقيومية على النهج القويم .

مشهد التوحيد خفى على أهل العقول ، ونوره جلى لأهل الوصول ، وليس من ارتاب بأدلة العقول أهلاً لأن يذوق

---

(١) سورة الإسراء آية ١ .

(٢) انظر (دستور آداب السلوك) الباب الرابع للإمام المجدد أبى العزائم .

حلاوة التوحيد ، ولا من بحث عن الواحد بالدليل ، محلا لشهود جمال الجميل ، قال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسِهم حرجا مما قضيتَ ويسلموا تسليما »[1] .

لايبلغ السالك مرتبة الوفا إلا بكمال التسليم ، فكيف ينال مقام الصفا وهو يرغب فى دار النعيم ؟!!.

منازعة العقول لكوكب الإيمان أفول ، ونزوع النفوس بُعْدٌ عن حضرة القدوس .

السكر فى التوحيد نجاة ، والصحو مع كشف علوم التوحيد هلاك . وقد نجا بهلول وأبو يزيد مع استغراقهما بسكرهما ، وإنما أضر الحلاج صحوه ، فاحفظ الأدب فى الصحو واحذر أن تبين كل البيان ، فإن ذلك حرمان ، وكشف سر الربوبية كفر ، فإذا اختطفك منك فقطعك له فكن كيف شئت ، وإياك والتقليد .

شتان بين من يعامل الله بالعبودية ، وبين من يعرف الله بالوحدانية .

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

من شهد بعين الأزلية محا الأبدية فشهد الواحد .

من نظر إلى القدرة وغفل عن الحكمة فلم ير عبدا فهو غاو .

ومن نظر إلى الحكمة وغفل عن القدرة ولم يذق حلاوة التوحيد ، فهو مشرك .

الغيب عنك فيك ، رفرف مراقيك . والغيب عنك فى الآفاق براق الالتحاق . والغيب عنك فيه نور الاتحاد والانتشال من وحلة البعاد ، وإن ما تشهده عيونه المفاضة من قدسه إذا ظللك بظلال قدسه .

ما بينك وبين الكمال الذى تكون فيه ليس لك رب إلا الله إلا أن تنظر نظرة فى نفسك وفيما حولك ، أو تسوح بنفسك الطاهرة فى ملكوت السموات والأرض ، وهى لمحة بها تقع الصلحة ، فكيف تبخل على نفسك بما به دوام أنسك ؟!.

ليس بين الجنة والنار إلا نظرة بعين السر تستبين بها الحقائق ، وتظهر بها غوامض الآيات للأعين جليات .

ليس بين أن تراك وبين أن ترى وجه ربك محيطاً بك إلا تنزل بالرعاية ، أو حضور بالفكرة ، أو نظرة بالعبرة ، لتعرف من أنت ، فإذا تحققت بمعرفة من أنت تجلت لك آياته فيك وفى

الآفاق ، فجذبتك إلى طهور الشراب ، فسكرت ، فطبت ، فغبت عنك به فكنت له حقا ، قال تعالى : « وقد خلقتُك من قبلُ ولم تك شيئا »[1] وكان لك شهودا ، وبالتنزيه معك ، قال تعالى : « الله وليُّ الذين آمنوا »[2] وقال : « فقل حسبى الله »[3] وقال تعالى ناطقا على ألسنة أوليائه : « وقالوا حسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ »[4] فهو وليك ووكيلك وحسبك ، فمن إذاً لك غيره ؟ .

النفـــس[1] :

هى اللطيفة النورانية ، الجوهرة الربانية ، والحقيقة التى لا تدرك بحس ولا عقل ، بل ولا لها إلا بخواصها . وإنما ترى وتعلم بقدر الرائى والعالم بها لا بقدرها ، والعجز عن إدراكها بحقيقتها وكنهها وهويتها برهان ناصع على عجز أكمل كائن عن إدراك ساطعة نور من أنوار الأسماء ، فكيف تدرك الهوية فى

---

(١) سورة مريم آية ٩ . (٢) سورة البقرة آية ٢٥٧ .

(٣) سورة التوبة آية ١٢٩ . (٤) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

(١) انظر (شراب الأرواح) و (معارج المقربين) فى : الأصل الأول للوصول إلى الله .

غيب غيبها ، وظلمة عمائها ؟؟ ومن عرف نفسه عرف ربه ، وفوق ذلك من الأسرار الخفية ما لا يشار إليه ، ولا يباح بالعبارة ، إذ نهاية العبارة علم التوحيد وعلم ما فى المادة من الخواص والآيات ، فالإشارة بعد ذلك ، فالإمساك للعجز عن البيان بأى طريق من طرقه ، وإنما هى مواجهات تصحبها ملاطفات ، ومؤانسات تصحبها منازلات فوق الأرواح ، إلا إذا اختطفها الفتاح ، وهناك خواص النفخة القدسية ، وهى عن كل كائن علية .

النفوس المعروفة سبعة أنواع : جمادية ، فنباتية ، فحيوانية فإبليسية ، فملكوتية ، فقدسية ، فالنفس الكلية .

ولكل نوع مقاصد وأحكام ، ومشاهد وملاذ وآلام ، ولكل نفس منها حكمة . والكامل فى الحقيقة من تفضل الله عليه بالعلم بما لكل نفس ، وأعانه على القيام به ، حتى يتمتع بجمال الله فى كل كائن بحسب كل نفس . ومن فاته شهود آياته فى كل كائن ، فاته من معرفة الله بقدر ما جهل ، قال تعالى : (وتؤمنون بالكتاب كله)(١) وليس بقدوة من قهرت نفس

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٩

من النفوس عنده بقية الأنفس فجعلتها عاطلة ، وإن أنس بمشهد عليٍّ .

عقل وحس ونفس :

العقل له دائرة اختصاصية لا يتعداها . كما أن الحس كذلك ، والحس إذا أدرك مدركا لا يلبث حتى يغيب ، فإذا غاب زال مالم يكن المدرك قويا فى التأثير فإنه يبقى زمناً ، والعقل إذا أدرك شيئا بقى فيه . وهناك قوة تدرك ما وراء المادة ، فالحس يدرك المحسوسات ، والعقل يدرك الخواص فى الكائنات ، أما معانى ما فوق المادة فتدركها النفس « الروح الملكية » وهى التى تؤمن بالغيب ولو لم يساعدها العقل ، وهى موجودة فى الهيكل بلا اتصال ولا انفصال .

إذا غلبت النفس البشرية صار الإنسان شيطانا ، وإذا غلبت الملكية صار الإنسان خليفة عن ربه .

لا تعجب إذا صارت النفس الملكية محجوبة عن عالمها فإنها تذل لأظلم سلطان ، وهى مسخرة للإنسان ، فقد يستعمل ما يوصل إلى الله للإفساد فى الأرض ، وهو العلم بأحكام الله تعالى .

جبلت النفوس على حب مُشاكِلِها مبنى ومضادها معنى ، فهى تميل إلى مشاكلها مبنى بتلذذ الحس بمشهد التناسب الجمالى ، وتميل إلى مضادها معنى ليمكنها أن تجذبه إليها بأحاديث ما فيها من الجمال الذى ليس فى الآخر ، فترى الغنى يميل إلى الفقير ،والعالم يميل إلى الجاهل ، وهى صبغة الله التى صبغ بها الإنسان ، فإن الله يحب من عباده من جمله بضد صفاته ، وهو التواضع والذل والتسليم .

تزكية النفوس :

قال سبحانه وتعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها)[1] طالبنا سبحانه بأن نزكى أنفسنا فيما منحنا التمكين منه بحسب ما بين لنا فى كتابه سبحانه ، وفى سنن نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وهو المكلف والمعرف سبحانه ، والهادى المعين جل جلاله ، ففى قوله : (من زكاها) تجب رعاية توفيقه وهدايته وعنايته ، فلنا منه ما به تزكو نفوسنا ، وعلينا السمعُ والطاعة لأمره ، والمسارعة إلى القيام بأحكامه ، مع رعاية مشاهد التوحيد

---

(١) سورة الشمس آية ٧ ــ ٩ .

وحقوق العبودة ، فهذا التكليف شاق للسالك ، وسهل ميسور للواصل ، وأنس فى رياضة النفس وجهادها للمتمكن .

فالسالك مكلف مجهود ، وعامل مكدود . والواصل متقرب إلى الله بتوفيقه ، فرح بفضل الله عليه ، ورحمته به . والمتمكن آنس فى مقام الإحسان بالمحسن ، مبتهج بالإحسان .

وهنا أفهمك أيها الأخ السالك إلى الله ، أن المراد ـ والله أعلم ـ فى قوله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم)(١) لا تحكموا لها بالكمال الذى ينسيكم فطرها ، فتهملوا جهادها ، فإن تزكية النفوس تلزم رعايتها لأهل المراتب العالية مهما بلغوا من الكمالات ، فإن العبد عبد وإن علا ، والرب رب وإن تنزل .

وتزكية النفس هى تطهيرها من كثافة الجمادية ، ووقوف النباتية ، ورعونات الحيوانية ، وسعير الإبليسية ، وتشبيه الملكية . فإن الإنسان الكامل وسط كما قال تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) أى : أشهدكم من غيب القدرة وأسرار الحكمة ، وجلى أنوار

---

(١) سورة النجم آية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

القيومية ، وما أطلعكم عليه من أسرار الإيجاد والإمداد ، وما واجهكم به من لوامع أنوار التجلى وسواطع أسرار التوحيد فى مقام التفريد[1] من غيب (واحد) وغوامض غيوب التنزيه فى غيب غيب (أحد) ، فإن البشرية لاتفارق إنسانا ما كيف كان ، وأين كان ، حتى يفارق تلك الحياة الدنيا إلى الحياة الروحانية معنى قوله ﷺ : (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وقله سبحانه : (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان)[2] وقوله سبحانه : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »[3] .

إذا زكت النفس من اللبس ، ونظرت بعين القدس وُوجهَتْ بالوجه العلى على بساط الأنس ، قال تعالى : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون)[4] .

هِىَ الـــرُّوحُ تَصْفُـــوُ تَشْهَـــدُ الأنْوارَ
يَلُــوحُ لَهـــاَ الحق العَلِـــىُّ جهَـــاراً

---

(١) التفريد : وقوفك بالحق معك وهو اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ثم بالحق ثم عن الحق .

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٤ .

(٣) سورة يونس آية ٢٦ .

(٤) سورة الواقعة آية ٨٥ .

هِىَ الرُّوحُ جَرِّدْهَا مِنَ السُّفْلِ سَارِعَن

هِىَ النَّفْسُ تَزْكُو تبْلغُ الآمَالاَ
هُوَ الْعَقْلُ يَصْفُوُ يُمْنَحُ الأسرَارَا

هِىَ الرُّوحُ تُجْلىَ للمُرَادِ إذاَ صَفَا
تُفِيضُ عَلَيْهِ خَيرَهَا مِدْرَارَا

فَجرِّدْ مِنْ الرَّسْمْ الدنِىء جَمَالها
وَفيهَا اتَّحِدْ تَشْهَد ضِياً أقدارا

ترىَ العاَلَمَ الأعْلَى شُهُودًا مُؤَيدا
تَكُونُ كَنُورِ الشَّمْسِ لاَحَ نَهَارَا

هِىَ الرُّوحُ شَمْسٌ أشْرَقَتْ في مَظَاهِرٍ
ألاَحتْ لَنَا الوهَابَ والغفارَا

إذاَ أشْرَقَتْ فى الرَّسْمِ أحْيَتْ مَعَالِماً
وَأخْفَتْ ظِلاَلَ الظُّلْمِ فَالآثَارَا

هِىَ الرُّوحُ طهرهَا مِنَ اللبس وَالخَنَا
فَإنَّ قَويمَ الْعَقْلِ فِيهَا احتاراً

تَجَرَّدْ مِنَ الأَهْواَ مِنَ الْحظ والْجَفَا
وَأقْبِلْ عَلَى اللهِ الْعَلىِّ جهَارَا

هِىَ الرُّوحُ جَرِّدْهَا مِنَ السُّفْلِ سَارِعاً
إلَى الْحَقِّ مُضطرا إلَيْهِ فِرَارَا

تَمَسَّكْ بآثَـــارِ الأئمـــةِ جَاهِـــدَن
تَرَ مُنْعِمـــاً بَرا قَوِيـــا وَقَهَّـــارَا

إنما تزكو النفس بحب عن شهود ، أو بوجد عن علم ، أو بضرورة داعية . ومتى زكت النفس أكسبت الجسم ميلاً إلى الوجهة التى بها تزكيتها : قال تعالى : « قد أفلح من تزكى »[1] .

من لم يتتبع مواضع الضعف من نفسه ، فيقويها عاش فى شقاء .

كمل نفسك بغيرك ، ولا تكمل غيرك بنفسك ، فإنما جعل الغير لتكمل به حتى تصل إلى العين . ومن كمل غيره بنفسه كان كالسراج يضىء لغيره ، ومن كمل نفسه بغيره كان كالشجرة الطيبة تتكمل بكل ما حولها ، ومتى كملت نفعت غيرها .

زك نفسك قبل السماع ، لتشرق عليك أنوار المعرفة ، فإن النفس كالبدن إن لم يكن قويا كلما غذيته ازداد مرضاً .

---

(١) سورة الأعلى آية ١٤ .

بالحال تزكية النفوس ، لا بالفلوس والدروس ، قال سبحانه وتعالى : « قد أفلح من زكاها »[١] .

إذا زكت النفس بالتوجه والأنس ، رأت الغيب ، وظهرت الآيات جلية فى الكائنات ، وأسبغت على المشاهد المحبوب الهبات .

إذا سطعت أنوار الروح على النفس الزكية ، منحت العيشة الرضية فى مقام القرب من الرب ، والأنس بشهود جماله ، جذبا لنيل وصاله .

الحياة :

الحياة الروحانية تظهر بالحال والمقال ، والحياة الجسمانية تظهر بالحظ والشهوة ، فمتى قامت الحجة على أن الإنسان فى حياة روحانية فلا تؤاخذه بسيئاته ، قال الله تعالى : « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ ماعملوا ونتجاوزُ عن سيئاتهم فى أصحابِ الجنةِ وَعْدَ الصدقِ الذى كانوا يُوعَدون »[٢] وإذا ظهرت الحياة الجسمانية فى إنسان فلا تعبأ بحسناته ، قال

---

(١) سورة الشمس آية ٩ .

(٢) سورة الأحقاف آية ١٦ .

تعالى : « وقدِمْنَا إلى ماعملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً »(١) .

والحياة القدسية تظهر بالإشارات فى أخفى الخفا من أنوار مجلى الذات ، ومتى شهِدْت فى رجل تلك الحياة فصفِّ له قلبك وأمسك عنه لسانك ـ وإن أنكرت أحواله وأعماله بحسب مقامك (فإن الجاهل به مقام عودته) وإن لم تستطع أن تسلم له فاجتنبه ، فإن من حرم الذوق والتسلم ربما وقع فى الاعتراض ، فأصبح غير راض عن الله ، ومن حرم الرضا عن الله حرم النفع بما حصل .

والحياة الإبليسية تظهر فى الهمم والإرادات ، فإذا ظهرت فى إنسان فاجتنبه ـ وإن أثرت همته وإرادته فى العالم ـ فإن الله تعالى قد يستدرج من يشاء بما يشاء ، وقد ينطق بالحكمة ذو الحياة الإبليسية ، لأنه يستمد من سافلين النأى ، قال تعالى : « لينفق ذُو سعةٍ من سَعَتِه »(٢) فلا تغتر له .

متى صحت حياة الروح ذكرت الله قائما وقاعدا ونائما لأن الجسم لا بد له من النوم ، والروح لاتنام إذا صحت

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٢) سورة الطلاق آية ٧

حياتها الروحانية ، قال تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جُنوبهم »(١) .

من أحياه الله بالحى القيوم لايموت وإن مات جسده ، ومن مات بالإرادة أحياه الله بالفضل حياة طيبة .

الجواذب :

الجواذب ثلاث : جذبة العرفان ، وجذبة المراقبة ، وجذبة العناية .

فجذبة العرفان مبدؤها صحبة العارف ، ووسطها استغراق كلية القلب فى محبته ، ونهايتها دخول السالك فى قلب العارف ، فينظر الله إليه فيه ، فتشرق عليه أنوار معانى الصفات فتحصل له المراقبة ، فإذا راقب معانى الصفات أشرقت عليه أنوار بدئه قبل نشأته الأولى ، فغاب عن وجوده بالوجود الحق ، ولديها يزول البين فتقع العين على العين ، وهى جذبة العيان ، فإن جمل بجمال حلل الوراثة نطق بالحكمة ورجع إلى الخلق وسيلة للحق بدعوة عباده إليه ، وإن اقطعته أنوار القدس غاب عن الشهود بعد إثبات الوجود الحق ومات ، فأحياه الله

(١) سورة آل عمران آية ١٩١ .

فكان مع الله والله معه ، واقفا على الأعراف يعرف كلا بسيماهم ، وهو المجذوب المقتطع ، والمطلوب المنتفع .

والوارثون قليل ، لأنهم فى مقام الاصطفاء ، والمقتطعون كثير لأنهم فى مقام الاجتباء ، وشتان بين من نفعه الله ونفع به ، وبين من ضاق ما عونه عن الأنوار فعمتْ ظاهره فَدُكَّ طُورُه ، وصعق ولم يفق .

وجواذب الأجسام النعم ، وجواذب العقول الآيات ، وجواذب النفوس الحكمة والتجليات ، وجواذب الأرواح مواجهة الوجه فى نور مجلى الذات . فاجذب كل حقيقة فيك بجواذبها ينفع الله بك .

الأنس :

الأنس بالله تعالى يقتضى عدم الوحشة ، والأنس بالله لا يكون إلا عن علم ، والعالم بالله أخشى الناس لله ، فإذا أنس أنس أنس أهل الأدب مع الله تعالى ، ومتى كان الأنس بالله محصنا بالخشية من الله والأدب مع الله دام ذلك الأنس ، وإنما يخشى على الآنس بربه من الوقوع فى الجمعية الكبريائية الخاصة فيفنى عن وجوده العبدى بالوجود الربانى فيحصل له الأنس ،

فيشطح أو يتيه فى بيداء التيه ، أما الأنس بالله تعالى فإنه لا وحشة له ، قال تعالى : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[1] .

والآنس بالله له فى الشدة أنس فوق أنسه فى الرخاء ، لأنه آنس بالله الذى من صفاته المبلى ، لأنه آمن بالكتاب كله ، فهو سبحانه يلبسه عند الشدة أجمل حلة يحبها ، وهى حلة العبودة لذات الله تعالى تملقا وتذللا وتبتلا وابتهالا واضطراراً ، فيقيه سبحانه وتعالى ، ويواجهه مواجهة لم يسبق له نظيرها ، لأن الله يقضى للآنسين به شهود جماله العلى ، ظاهرا بمعانى الأسماء والصفات للروح وللسر وللنفس والعقل والحس ، ولا يكون ذلك إلا عند الشدة ، وأما فى غيرها فيكون الأنس خصا بالروح والعطايا للروح .

وقد أنس أبو بكر مع رسول الله ﷺ فى الغار حينما قال له : « لا تحزن إن الله مَعَنَا »[2] فكان ماتعلمه من إغاثة الله تعالى وظهور عنايته وولايته بأبى بكر الذى حصلت له الوحشة رضى الله عنه ، ولم تكن وحشة أبى بكر خوفاً على نفسه ،

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢) سورة التوبة آية ـ ٤٠ .

ولكنها على روحه الحقيقية ﷺ ، قال الله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »(١) وإمامهم أبو بكر .

الروح تأنس على بساط المنادمة ، فتبتهج النفس حيث لا لبس ، وينشرح الصدر ، فينطق اللسان بجلى البيان « الرحمن علم القرآنَ خلقَ الإنسانَ علمه البيانَ »(٢) .

لا يجلس على البساط إلا من عرف (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .

إذا بسط العارف بساطه آذنك بالأنس ، والأنس إما معه ، أو عنده ، أو فيه ، أو به ، أو لديه ، ولكل معلم أدب ، وليس ذلك بالدراسة ، وإنما هي العناية من الله سبقت ، والولاية منه إليك وصلت ، وسوء الأدب عجزاً عن القيام به أدب ، إلا فى مقام (معه) فإن الأدب أن تتحصن بحصون منهاجه بقدر ما تقوى قوتك ، فإذا غلب عليك الوجد فقوِّ بشريتك بما شئت ـ ما لم يكن محظوراً ـ وهو مقام تزكية النفس للأنس ، كان بعض الرجال يضرب نفسه بالخيزران لينبه بشريته ، وبعضهم

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣ .

(٢) سورة الرحمن آية ١ ـ ٤ .

يسلك مسالك التهم ، ليتهم ، وبعضهم ، وبعضهم ، إلا من سلك مع المرشد الكامل فهو كظله ، أو ميت بين يديه .

أنس العارف :

العارف بالله فى أنس بمولاه ، لا يحزنه شيء ، وإنما يحزن من قول أهل الجهالة الذى لا يليق بالأدب مع الله تعالى ، وقد يجمع الله له بين الأنس والفرح ، وبين الأنس والحزن ، فهو فى أنس دائم فى حالى الفرح والحزن لأن أنسه بالإشراف على قدس العزة والجبروت ، وفرحه بتجلى أسماء الجمال ، وروحه تجاوزت الملكوت وأشرفت على قدس العزة ، هذا إذا كان وارثاً .

وغير العارف أنسه بما يفرح به العارف ، وفرحه بما يلائمه ، هذا إذا كان سالكا على يد الوارث ، أما غيره ففرحه بنيل حظه ، وحزنه بفقدانه ، والله يختص برحمته من يشاء .

أنس العارف فى فصله ووحشته فى وصله ، وأنس غير العارف فى وصله ووحشته فى فصله .

الشوق :

هو حرارة نار القرب التنزلى : الذى به يرى نفسه المشتاق

وهو مع محبوبه ، أو عنده ، أو لديه ، والعلو العظموتى الذى يجعل المشتاق عدماً لا يليق به أن يقرب من هذا الجناب ، فيكون بين قرب لا بين ولا رين ، وبين بعد يستحيل فيه الاتحاد ، فتحرقه حرارة نار فقد المجانس ، ويجذبه برد التنزل وإيناس التلطف ، ولولا ذلك لهلك .

والمشتاق منزعج لا يقر له قرار ، فإذا قويت جواذب التنزلات شطح ـ إن لم يكن على يد المرشد ـ وإن استقرت نار الاحتراق صعق خشية الفراق ـ إن لم يكن على يد المرشد ـ فالمرشد برزخ ما بينهما ، لأنه رق الحقائق المنشور ، وبحر الأسرار المسجور ، وكتاب التنزلات المسطور ، وطود التجليات الراسخ .

الشوق مقام رفيع من مقامات المحبة ، وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيما فى غير مشوقه ، إنما يشتاق الإنسان إلى من عرف ، ومن جهل شيئا عاداه ، وقد ورد فى الحديث القدسى : (من عرفنى عشقنى) وشتان بين مشتاق إلى الجنة ومشتاق إلى الحضرة ، فالمشتاق إلى الحضرة غاب عن الأكوان بمكون الأكوان ، والمشتاق إلى الجنة حجبته الزخارف عن الملك الديان .

يقول الله تعالى : (أى عبدى ، إنك بأعينى ، وإنى لأحبك ، وإنى لقريب منك ، وإنك لقريب منى ، وإنى ماسترت عنك إلا ليشتد شوقك إلىَّ فيرضينى منك ذلك ، وما سترت عنك ما سترته إلا رحمة بك وتقوية لشوقك إلى جنابى العلى) .

ولو أن الله تعالى كاشف العبد المشتاق إليه بمقامه لديه لذاب مما يواجه به من تنزل ذى الجلال والاكرام ، فسبحان من حجب ما أقام به عبده عنه عطفاً عليه ورحمة به . ولكنا نجهل ، وإلا فمن الذى منحك الشوق حتى اشتقت ؟ ومن الذى كاشفك بالجمال حتى عشقت ؟ ومن الذى تجلى لك حتى أخرجك من حيطه الآثار إلى فسيح الأنوار ؟.

لا شوق إلا بعد الوجد ، ولا وجد إلا بعد الشوق ، ووجد عن علم يؤدى إلى شوق بعلم ، فإذا حصل الوجد بالعلم كان الوجد الحقيقى ، وبعده الشوق الحقيقى .

فى أفق الشروق ينعدم المشوق .

العشق يُنزعج ، والشوق يُنطق ، والمحبة تُصمت .

أبوحُ إذا علاَ شوقى بوجدِى وَيبْدُو لِي الهيامُ وفيه رُشْدِي
أموتُ بكم وأحياَ كلَّ وقتٍ وموتِي فيكمُ عزى ومجدِي

ولما أن سكنتُم فى فؤادى جُذِبْتُ إلى الولى بغيرِ جُهْدِ
فبحتُ بسرِّكم رَغْماً وإنى بشدةِ حبكُم قد صحَّ سعِدى

وقال رضى الله عنه :

هو الشوقُ للمذْكُورِ يُخفى المظاهرَا
وُيشْهِدُ مَذْكُوراً عَليّاً وقَادرَا
ويُظْهِرُ أنوارَ الحقائِقِ جَهْرَةً
لديها يَلَذُّ الجَمْعُ راحا مُطَهراً
هُوَ الشوقُ أفنانِي وأخفَى مَعالمى
فصرتُ به غَيباً وكونى مُظْهرا

إن لله ساعات يشوق فيها عبيده إليه ، فينسيهم كل شيء .

الشوق إلى الغيب دليل على أن فى المشتاق ساطعة أنوار منه وكيف لا ؟! والزيت فى المصباح مضيء ، والمصباح إلى العالم الأعلى مشير ولو لم تقم الحجة العقلية ولا الدلائل النقلية ، لا أقيم الحجة برسل الله الكرام ولكنى أقيمها بأهل الكهف .

والذوق فوق العلم ، والكشف فوق الذوق ، والفناء عن الوجود فوق الكشف .

شوَّقَك إلى الآيات ، لتلحظ أنوار معانى الصفات . وأشرق

فيك وبك معانى الصفات ، لتفر إلى غيب التجليات . وأراك من التجليات البينات ، ما به تلحظ سواطع أنوار غيب مجلى الذات بالفناء عنك وعن الكائنات ، لديها فوجودك به حق ، وإذا ثبت وجودك الحق كنت للحق وكان الحق لك ، فوَجِّهْ وجهك إليه ، واجعل صلاتك ونسكك ومحياك ومماتك لله رب العالمين لا شريك له ، فالأمر والجذب منه ، والتسليم والانقياد منك به .

لا ينفك شوق المحبوب إليه حتى تنكشف جلية الحقيقة ، ولا انكشاف لها ، لأن قدرته لم تتعلق بإيجاد من يجانسه فيدركه ، ولا صبر لمن ألقى عليهم محبة من عنده ولا محيل لهم عنه ، فهو العلى العظيم عن أن يدرك ، وهو القريب المجيب فلا يغيب عن طالبه ، إنما يتجاوز المحبوب مقام الشوق إلى الإلهانية ومنها إلى المهيمنية[1] ، فإذا قوى الاصطلام فى مقام الاعتصام رد إلى الصورة شهوداً بعين البصيرة ، فاطمأن القلب بها ، لا تسليا عن الهوية ، ولكن عجزا عن تحمل الصبر على الإلهانية ، وخشوعا تحت هذا السلطان العلى والمكانة الصمدانية .

---

(١) المهيمنية : هو مقام من مقامات الملائكة المهيمة فى شهود جمال الحق وهم مس الملائكة التى لم تسجد لآدم لأن الله أمر بعض الملائكة بالسجود ولم يأمر البعض الآخر .

فَدُمْ فى مزيدِ واصطلامٍ غَرامِيا
فنارُ اصْطِلامى فى الحبيبِ مُدَامِيَا

نعم يطمئنُّ القلبُ بالصورةِ التي
تُرِينى جَمالَ الغيبِ لاحَ أمامِيَا

ولكن إلهانيتى فى اصْطِناَعهِ
إليه تُجاذبُنِى وتُخفى مقامِيَا

فلا (وأبيكَ) المَثْنوِيَّة تُفْنِنِى
ولا الفَصْلُ يُخفِى الوجْدَ خَلِّ ملاَمِيَا

من البدءِ من قبلِ التجلى صَبَابتِى
وكُنتُ أرى لم يَستُرنِّى حمَاَمِيَا

فكيفَ وسورِى من حضيضٍ ومن صوى
أُقرُّ لغيرِ الوجه فاسمع كلاميا

فلا وجمالِ الوجهِ فى الحظوةِ التى
تُليحُ (تَدَلَّى) غيبها فى سلاميا

وتُسْكِرُ (إذ يغشى) بِراحِ طَهُورهِ
بآية (ما أوحى) تَنَاولْ مُدامِيَا

المحبة :

القلب بيت الرب ، فطهره له بالحب .

إنما يحب ما فيك منه ، وإنما يقربك بما يورده عليك منه فاحذر أن ترى تقربك تقريبا ، وافن عنه بمشاهد التوحيد تكن من أهل التفريد ، ويحبك إذا أديت الأمانة لأهلها ، وعرفت لنفسك قدرها ، ومتى أحبك فكن كيف شئت ، فإن من أحبهم عصمهم ، أو حفظهم ، « وما تشاءون إلا أن يشاء الله »[1] وما تقول فى قوم الحق معالم بين أعينهم ، وعندهم ، ومعهم ، وهم معه وعنده لا يغفلون وإن غفل الناس « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[2] .

إنما يشهد ضياء المحب عين تحب .

كذب من ادعى محبة من لم يعرف ، فإنه قد يسيء الأدب لجهله بمكانة المحبوب ، وللمحبة دلائل يدعو إليها العلم بالمحبوب ، ومن أول دلائلها التسليم له ، والصبر معه ، والرضا عنه . وسعد والله من كاشفه الله بأنوار التوحيد فى مقامات التنزيه والتفريد ، حتى فنى عن وجوده بنفسه ، فكان عدما فى نظره به ، موجودا فى نظره بربه ، هذا سيئاته حسنات ،

---

(١) سورة التكوير آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ٨٢ .

ومعاصيه طاعات ، وجهالته علم ، وبعده قرب ، وفصله وصل ، قال الله تعالى : « الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور »[1] .

لا يغيب من شهد الحبيب ، فإنه إن حجب عن بصره لا يحجب عن بصيرته .

المحب يرى حبيبه قريبا بأنسه بعيدا بشوقه .

المحبة ترفع أهل أدنى المراتب إلى أهل أعلى المراتب .

أهل المحبة يخافون من البعد وهم فى أقرب مراتب القرب ، وأهل الجفا يأمنون وهم فى أبعد البعد .

إذا أردت أن يحبك فانظر إلى ما منه إليك ، ولا تنظر إلى ما منك إليه ، فإن نظرت إلى ما منه إليك كنت عبدا حقا ، وإن نظرت إلى ما منك إليه كنت مشركا .

من ذاق جرعة من صافى طهور محبة الله ؛ أغناه الله عمن سواه .

ليس هناك محبوب كله خير إلا الله ومن والاه وما والاه .

---

(١) سورة البقرةآية ٢٥٧ .

من ذاق حلاوة خالص محبة الله لم يلتفت إلى شيء سواه .

لدغَتْ حيةُ الهَوى كبدى　　فلا طبيبَ لَهَا ولا رَاقي

إذا أجلسك على بساط المحبة فانس كل ما عداها .

أحب خلقه إليه ؛ من اعترف بذنبه بين يديه .

من عرج على معارج المحبة ارتفع لأعلى مقام ، ومن عرج على معارج المجاهدة ارتفع لحضرة الإنعام . وشتان بين من هو مع الإنعام وبين من هو مع المنعم .

المحبة قسمان : محبة واصلة منه إليك ، وهى اختصاصك بما هو من صفاتك . والمحبة الواجبة عليك وهى أن تجعل أمره مقدماً على حظك ، ومراده مقدما على مرادك ، وطاعته مقدمة على هواك .

هُو الحبُّ نُورٌ يَكْشِفُ الحُجُبَ عن قلبِي
فأهتــزَّ حالَ الذكــرِ شوقًــا إلى ربى
أَهِيــمُ بذكـــرِ الله والوجـــه مشرقٌ
فأشهــدُ نُورَ الوجــهِ من غير مَا حَجْبِ
فأفنـــىَ عن الآثارِ شوقــاً إلى اللقَـــا
فَيمنَحنـــى ربى الطَّهُـــورَ من الشُّرْبِ

سقانَــــا رسولُ الله خَمْـــرةَ حبِّـــه
فأسْكَرَنَـــا طه فَهِمْنَـــا إلى الـــرب
فَبُشرى لأهـــلِ الحبَّ نالـــوا مُرادَهُـــمْ
إمامُهُـــم المختـــارُ كَشْفـــاً بلا حُجُبِ

ما يحجب به غير المحب ينمو به غرام المحب ، فإن ما لا يلائم النفس يقبضها عن الأنس ، أما أهل المحبة فإن أنسهم بالله عند ما لا يلائم نفوسهم ، قال تعالى : « الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »(١) وما ازدادوا إيماناً إلا لشوقهم إلى لقاء الله وإعلاء كلمة الله ، وقد يجمع الله لهم الشوق إلى لقائه ، وإعلاء كلمته .

المحبة حجاب ـ وهى أرقى المقامات ـ لأنها تشغل عن المحبوب ، وهل يسع القلب محبوبا وحبا ؟!.

نار المحبة لاتبقى فى القلب لغير المحبوب حبة .

ولا تلم على من قال : « الله محبة » فإن المحبة جعلت أهل الجاهلية العمياء تخدمهم الملائكة المقربون ، ويحبهم رب العزة

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٣ .

والجلال ، ضحوا فى سبيل المحبة بكل شىء : من دين كانوا عليه ، ومن وطن كانوا يجلونه ، ومن مال كانوا يحرصون عليه ، ومن عرض كانوا يتفانون فى المحافظة عليه . ثم صغر كل ذلك لديهم فى سبيل المحبة ، حتى بذلوا أنفس نفيس ، وهو النفس ، على ظِبْبَة السيف ، ولولا المحبة لما أشرقت تلك الأنوار ، ولا تجملوا بتلك الأحوال والمحبة منه أولا ، وبه لهم ثانيا « يحبهم ويحبونه »[١] .

ما لى وللمحبة ؟! أشير إلى مقاماتها وهى فوق الأرواح قدرا ، لم يكشف سرها من الله لعبده ولا من العبد لله ولذلك أنكرها أهل العقول ، لأنهم حرموا الوصول ، وأهلها هم الذين صاغ الله نفوسهم من نور قدسه ، فأشرقت هياكلهم على القدس الأعلى .

فاطْو أخى بساط أهل المحبة ، فإن مقاماتهم عزت عن أن يشار إليها ، وأحوالهم رفعت عن أن يعبر عنها . وما تقول يا أخى فى رجل إذا سأل حبيبه لباه ، وإذا سكت افتتحه وناجاه ، وإذا شغله شأن من شؤون الدنيا والآخرة أسرع إليه

---

(١) سورة المائدة آية ٥٤ .

وأرضاه ، هؤلاء هم أهل المحبة ، ما ذكر أحد منهم شيئا إلا سهله ، وما اشتغل الإنسان منهم إلا بحبه ، فأسرع أن تذكر له ما يهمك فى دنياك وآخرتك لا لتيسيره ، بل لتفرغ قلبك له ، وبعد ذلك سل تعط ، وارج تنل .

محبة الله للعبد إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين ، به يرفعهم إلى مقام المقربين ، ومعية رب العالمين ، وعندية الملك المقتدر فى مقعد صدق ، ومحبة العبد لله تعالى إيثار العبد ربه على كل شىء ، حتى يتأله له دون كل شىء ، ويشتغل بذكره عمن سواه ، ويحترق حبا فيه ، حتى يكشف له الحجب فيراه .

الحب إن كان بالعلم جذب إلى المحبوب ، وإن كان بالشهود أصمت المحب ، لأنه قد يعجز عن تصوير محبوبه بعبارة أو إشارة ، ويجله عن أن تبين محبته غيرة للمحبوب ، فإذا تجاوز الكشف صار المحب محبوبا ، فأشار إلى المحبة بقدر نفسه .

القيمة بقدر المقصد ـ هذا إذا قوم المقصد ـ ومن طلب المقصد الذى لا يقوم ابتدأ ببذل روحه مستقلا لها ـ لا لينال المقصد ـ بل سروراً بعلمه أن هناك مقصدا لا يقوم . وهذا يكون لأهل المحبة خاصة ، لأن الحب لا يكون إلا بعد المعرفة ، ومتى عرف المحبوب عشق ، وبقدره يكون البذل ، فإن كان لا

يعلم قدره غيره كسرت الموازين ، وحصل الدهش للعقول ، والحيرة للنفوس ، وانكسر القلب قصورا ، وخشع الجسم تقصيرا ، وإنما تكون المبادلة فى النظائر والنظراء ، لا فيما لا نظيرَ له ، فكيف إذا تحقق من قصده الله أن النفس والجسم والعقل والحس صنعته التى أبدعها ، وأنه هو القاهر فوقها ، لديها تقوى الرهبة ، وتتحقق من الفرق الغيبية ، وتجذبه حقيقة الذل إليها من أن يشاكل ، أو يجانس ، أو يؤانس ، وهو نهاية الشوق ومبدؤه فوق الطوق ، « والله غالب على أمره ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون »[1] .

---

(١) سورة يوسف آية ٢١ .

الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
في سطور

نسبه . سليل آل البيت الطاهرين ، حسني من جهة والدته ، حسيني من جهة والده .

مولده : ولد يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩/١١/٢ م بمسجد سيدى رعلول برشيد .

وظائفه : عمل بالتدريس ، ثم تدرج في سلك الوظائف حتى صار أستاذاً للشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم .

إقالته من وظيفته : كان يرى أن أهم وظائف الرجل الديني الإرشاد والنصيحة للحاكمين ، بل لعامة الناس ، والتحذير من الوقوع في حبائل الإستعمار فأقصاه الحاكم العام الإنكليزي من وظيفته في يوم الأحد ١٩ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٥/٨/١ م .

مطالبته بعودة الخلافة : بعد أن قررت الجمعية الوطنية بأنقرة في يوم الأحد ٢٦ رجب ١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٤/٣/٢ م إلغاء الخلافة الإسلامية دعا الإمام لتأسيس جماعات للخلافة الإسلامية بجميع أنحاء العالم الإسلامي ، وانتخب رئيساً لجمعية الخلافة الإسلامية بمصر في يوم الخميس ١٣ شعبان ١٣٤٢ هـ الموافق ١٩٢٤/٣/٢٠ م ، وناب عن شعب مصر في حضور مؤتمر الخلافة الإسلامية الذي انعقد في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م في أشهر الحج .

دعوته : أسس جماعة آل العزائم سنة ١٣١١ هـ الموافق ١٨٩٣ م والطريقة العزمية سنة ١٣٥٣ هـ الموافق ١٩٣٤ م ومقرهما ١١٤ شارع مجلس الشعب بالقاهرة .

مؤلفاته : تزخر المكتبة الإسلامية بمئات الكتب من مؤلفاته في التفسير ، والفقه ، وعلم الكلام ، والتصوف ، والفتاوى ، والسيرة ، والمواجيد .

انتقاله : انتقل إلى الرفيق الأعلى ليلة الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٥٦ هـ الموافق ١٩٣٧/١٠/٣ م ودفن بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة .

خليفته الأول : ابنه الأكبر الإمام الممتحن السيد أحمد ماضي أبو العزائم ، شكل عمرا جديدا لدعوة الإمام ونشر تراثه العلمي ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠/٥/٢٦ م ، ودفن يوم الخميس ٢٢ ربيع أول ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠/٥/٢٨ م بمسجد والده الإمام بشارع مجلس الشعب .

خليفته القائم : السيد عز الدين ماضي أبو العزائم المحامي بالنقض ، حفيد الإمام ، والابن الأكبر للخليفة الأول ، وهو شيخ الطريقة العزمية ، وإمام جماعة آل العزائم .

الفهرس

تم بحمد الله وحسن توفيقة



رقم الإيداع ٢٣٤٢/١٩٩٢



الطهور المدام

على قلوب الأبرار

حكم عالية ، ودرر غالية ، أفيضت من الكتاب المسطور ، والبحر المسجور ، ونطق بها لسان الرق المنشور ، أخذا عن البيت المعمور ، فجاءت ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وكانت بحر العرفان وفوز البيان ، يغترف منه من سبقت له العناية ولوحظ بمقام الولاية ، ومنح الصفا بعد تحققه بالوفا ، يستمد منه واصل تخلى ، ثم تحلى ، وله حبيبه تجلى ، فانياً عن شهوده فى وجوده ، ويشهد ما فى هذا البحر من لآلى .

لقد سعد من فهم هذه الحكم علما ، أو تمتع بها ذوقا ، أو كشف عنه الحجاب . فسمع كلام الأحباب ، من فازو بالوصال ، وشاهدوا الجميل بعد التلذذ بالجمال .

دار الكتاب الصو
١١٤ ش مجلس الشعب القا